بسم الله الرحمن الرحيم

٢١١٩
١٠٨

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
كلية الدراسات العليا
دائرة العلوم الشرعية
قسم التفسير وعلوم القرآن

بحث تكميلي لنيل درجة التخصص الأولى
(الماجستير) في التفسير وعلوم القرآن

بعنوان

الآداب التربوية والاجتماعية في سورة الأحزاب

إعداد الطالبة :
هدى الخضر أحمد الشيخ

اشراف الدكتور
السر محمد الأمين

جامعة القرآن الكريم
والعلوم الإسلامية
كلية الدراسات العليا والبحث العلمي
المكتبة
رقم القيد : ٢٤٠٦ التاريخ ١٤٢١/٤/٢٠

٢٧٦

رجب ١٤١٩هـ - نوفمبر ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء .....

الى من أمرني الله ببرهما وخفض جناح الذل لهما

الى إخوتي الذين أثاروا الى الدرب

الى أســـــاتذتي الأعزاء

الى كل طالب بحث علمي

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع

شـــكر وتقـــدير

الحمد لله القائل في محكم تنزيله : ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾(١) والصلاة والسلام على الرحمة المهداة الذي أرسل رحمة للعالمين.

وبعد.....

فإني أتقدم بوافر الشكر والتقدير لجامعة القرآن الكريم حيث نهلت من معينها الصافي العذب، كما أتقدم بوافر الشكر لأستاذي الفاضل دكتور السر محمد الأمين – المشرف على هذا البحث – والذي وجدت منه الرعاية والعناية والتوجيه منذ بداية الكتابة في هذا البحث الى أن أصبح بهذه الصورة التي اسأل الله سبحانه وتعالى قبولها وأن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

و الشكر موصول لأسرتي التي بذلت كل غالٍ ونفيس في سبيل الوصول الى هذه الدرجة العلمية والى غيرها إن شاء الله. وأتوجه بأسمى أيات الشكر والإمتنان لأسرة مكتبة جامعة القرآن الكريم التي لم تبخل علينا بالمساعدة أبداً فجزاهم الله خيراً.

والشكر أجزله لكل من ساهم في إخراج هذا البحث بهذه الصورة.

وفي الختام الشكر موصول للأساتذة الكرام الذين أناروا لنا طريقنا الذي نحن عليه وخصوصاً الأستاذ الدكتور / أحمد علي الإمام الذي حبب لنا التفسير والبحث فيه، فهو دائماً يشحذ الهمم ويوقظ الإيمان. أسأل الله تعالى أن يجزيه الله عنا خير الجزاء.

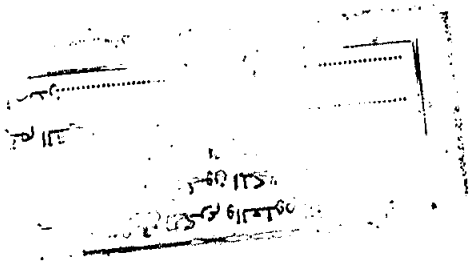

و ختاماً دعائي لوالدي الكريمين

الذين هيئا لي خيراً كثيراً

فجزاهم الله عني خير الجزاء.....

---

(١) لقمان : ١٤.

المقدمـــــــــــة:-

إن الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، الذي هدانا لهذا الدين القويم والصراط المستقيم، نحمده على ما أنعمه علينا، فأنار قلوبنا بنور الإيمان وهدانا بهدى الإسلام.

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك والحكم والسلطان، وإن محمد عبده ورسوله وحبيبه، الداعي الى دين قويم وصراط مستقيم.

أما بعد،،، فإن خير ما اشتغل به المشتغلون وانصرف اليه الباحثون العكوف على كتاب الله لاستنباط ما فيه من ذخائر وكنوز ثمينة لا ينضب معينها، فهو لا يزال كما كان يمد القرون والدهور بأعظم أسباب الحياة والمعاني الإنسانية.

إن الإسلام منهج حياة متكامل منبعه كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ليكون المجتمع الصالح، ولقد وضع القرآن الكريم الأسس التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي الذي قُدِّر له أن يكون قائداً لغيره من المجتمعات. قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾(١)

أهمية الموضوع :-

إن سورة الأحزاب من السور المدنية التي تعنى بتأسيس المجتمع، فهي تتولى جانباً هاماً من تنظيم الحياة الاجتماعية للمسلمين على أساس عقيدة المجتمع وشريعته، كما أنها تتولى تعديل بعض الأوضاع التي كانت سائدة في الجاهلية وإبطالها حسب ما يقتضي التشريع الإسلامي .

---

(١) البقرة : ١٤٣.

إن هذه السورة بدأت برسم ملامح النظام الإسلامى لحياة المسلمين العامة والخاصة، كما أنها تمثل الأحداث والتنظيمات فى فترة ما بعد غزوة بدر الكبرى الى ما قبل صلح الحديبية، لذا فهى نزلت فى تلك الفترة التى بدأ فيها ظهور تكوين الشخصية المسلمة، وهى تلك الشخصية التى تم إستقرارها بعد فتح مكة ودخول الناس فى دين الله أفواجاً. وسيادة تعاليم الإسلام فى كل شئون الحياة، وإن هذه السيادة لا تتم إلا إذا التفت المسلمون الى التحلى بالآداب التربوية والاجتماعية التى إشتملت عليها السورة والتى هى عنوان هذا البحث الذى بين ايدينا.

سبب إختيار الموضوع :-

إن السبب لاختيار هذا الموضوع هو غفلة بعض المسلمين عن بعض الآداب الاجتماعية والتربوية وابتعاد الكثيرين منهم عن فضائل الأعمال التى تقربهم الى الله عز وجل، وتشيع فيهم روح الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع المسلم، وتجعل مجتمعهم رائداً للمجتمعات وقائدها الى بر الأمان إقتداء بسلفهم الصالح، وإعتماداً على منهج حبيبهم المصطفى محمدﷺ، لأنه القدوة الصالحة الحسنة التى يجب أن يتأسى بها جميع المسلمين.

كما أن هذه السورة تعالج كثيراً من القضايا الاجتماعية التى يحتاجها المجتمع الإسلامى الجديد فى المدينة المنورة ذلك المجتمع الذى كان مشحوناً بالأحقاد والضغائن والحروب بين أفراده.

لهذا ولغيره رأيت أن يكون عنوان هذا البحث: **الآداب الاجتماعية والتربوية فى سورة الأحزاب**، وهذه السورة حافلة بمواضيع عدة تصلح للباحثين أن يبحثوا فى ثناياها.

مكان الدراسة من الدراسات السابقة :-

لقد عنيَ بدراسة هذه السورة المفسرون قديمهم وحديثهم فتناولوا تفسيرها كوحدة واحدة، فبينوا معناها وشرحوا آياتها شرحاً وافياً ، غير أن هذا البحث تناول الآداب الاجتماعية والتربوية من خلال السورة وذلك بتلخيص أقوال بعض المفسرين في معناها وربط آدابها بما نحن عليه الآن، بل ولتحقيق الغاية من خلق البشرية جمعاء في العبودية لله وحده والإلتزام بشرعه والسير على نهجه قال تعالى :﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١).

منهج الدراسة :-

لقد نهجت في كتابة هذا البحث منهجاً مبنياً على الوصف والتحليل والإستقراء، حيث ذكرت أولاً الآيات ومعناها ثم ذكرت الأدلة الواردة فيه من السنة، ثم ذكرت سبب النزول إن كان وارداً فيه، ثم تأتي بعد ذلك أقوال العلماء المفسرين في ذلك الموضوع. وكل فصل ومبحث في هذا البحث تمت فيه الصياغة بقدر ما فيمت حتى يخرج البحث بصورة طيبة بعد أن اتبعت الآتي :-

١- جمعت الآيات والأحاديث التي تتحدث عن الموضوع بعد الإشارة اليها في الحاشية.

٢- خرجت الأحاديث النبوية التي استعنت بها كشواهد من السنة المطهرة.

٣- اطلعت على جل آراء المفسرين المتاحة لي عند إرادة بيان آية من الآيات المتعلقة بالبحث ثم نظرت أيهم أشبع المسألة بحثاً فآخذ برأيه وأنقله بنصه إذا كان التصرف فيه يخل به.

٤- ترجمت لمعظم الأعلام الذين ذكروا في متن البحث وما سقط في الطباعة الحقته في نهاية البحث .

---

(١) الذاريات : ٥٦.

المصـــادر والمراجـــع :-

اعتمدت فى بحثى أولاً على كتاب الله الخـالد - القـرآن الكريـم - الـذى لا تنقضى عجائبه والذى يمتاز بخاصية الشمول وحفظ الله له. قـال تعالى :﴿وَأَنزَلْنَـآ إِلَيْـكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾(١).

واستعنت بعد كتاب الله الخالد بمراجع عدة قديمة وحديثـة من كتب تفسير وهى أساس البحث، وكتب حديث وغيرها من كتب عامة،وكـان إعتمادى علـى الكتب القديمة أكثر من الحديثة، لأنها أمهات الكتب وتعتبر المرجع الأساسى لعلوم الإسلام حتى بلغت إحدى وثمانين .

خطة البحث :-

جاءت خطة البحث مشتملة على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وهى كالآتى :-

المقدمة :

بينا أهمية الموضـوع وسـبب إختيـاره، ومنهـج البحـث، ومكـان الدراسـة مـن الدراسات السابقة.

التمهيد:

به التعريف بالسورة، وتسميتها وسبب نزولها، ومناسبتها لما قبلها ومناسبتها لما بعدها، وموضوع السورة وأغراضها.

الفصل الأول

التربية على طاعة النبى ﷺ وحبه.

المبحث الأول : الإقتداء بالنبى ﷺ والنهى عن إيذائه.

المبحث الثانى: الصلاة على النبى ﷺ.

---

(١) المائدة ٤٨

الفصل الثاني:

الآداب الاجتماعية الأسرية السليمة.

المبحث الأول : آداب الزيارة والإستئذان

المبحث الثاني: الحجاب

الفصل الثالث:

عادات إجتماعية أبطلها الإسلام

المبحث الأول: التبنى

المبحث الثاني: الظهار

المبحث الثالث: التوريث بالحلف والدين

الخاتمة: تشمل نتائج البحث وتوصياته.

الفهارس:

وفى الختام لا يسعنى إلا أن أتقدم بالشكر لكل من ساهم فى إخراج هذا البحث بهذه الصورة وأتمنى من الله العلى القدير أن يتقبل منى هذا العمل المتواضع وأن يعفو عما وقع فيه من السهو والخطأ والنسيان، إنه سميع قريب مجيب.

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل.

تمهيد

التعريف بالسورة :-

(سورة الأحزاب هى السورة الثالثة والثلاثون بحسب الرسم القرآنى، وهى (السورة الخامسة من المجموعة الأولى من قسم المثانى)،(١) وهى التسعون فى عداد السور النازلة من القرآن، نزلت بعد سورة الأنفال وقبل سورة المائدة، وكان نزولها فى أواخر سنة خمس من الهجرة.. وقيل أيضاً أنها كانت سنة أربع وهى سنة غزوة الأحزاب (٢)، وهى من السور المدنية، بإجماع العلماء، وهى خمسة آلاف وتسعمائة وتسعون حرفاً وألف ومئتان وثمانون كلمةوثلاث وسبعون آية(٣) غير أن بعض المفسرين ذكروا بأن عدد آياتها كان أكثر من ذلك وأوردوا بعض الأحاديث التى تدل على زيادة عدد آياتها.

عن زِرّ بن حُبيشَ (*) قال : قال لى أُبى بن كعب** رضى الله تعالى عنه:كأين(٤) تقرأ سورة الأحزاب أو كأيِّن تعدها؟ قلت:ثلاثاً وسبعين آية فقال:أقط(٥) لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة، ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة إذا زنيا فأرجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم(٦).

---

(١) سعيد حوى - الأساس فى التفسير ط (١) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - دار السلام - القاهرة، حلب، بيروت-٨/ ٤٣٧٩.

(٢) أنظر محمد طاهر بن عاشور - التحرير والتنوير - الدار التونسية - تونس - ١٩٤٨م - ٢٤٥/٢١ . بدون "ط".

(٣) أنظر محمد نووى الجاوى - التفسير المنير لمعالم التنزيل المسمّر عن وجوه محاسن التأويل - دار الفكر - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ١٧٦/٢ - بدون "ط".

(٤)كأيّن : أى كم

(٥) أقط : أى أحسب.

٦- شهاب الدين السيد محمود الألوسى - روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى - دار إحياء التراث العربى - بيروت ط "٤" ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ١٤٢/٢١.

(*) أبو مريم الأسدى الكوفى عاش ١٢٠ سنة، كان زر من أعرب الناس وكان ابن مسعود يسأله عن العربية توفى سنة ٨٢ هـ - تذكرة الحفاظ - ٥٧/١

(**) أبى بن كعب بن قيس النجارى الأنصارى، كان سيد القراء، شهد المشاهد كلها جمع بين العلم والعمل كنيته أبا المنذر توفى سنة ٢٠ هـ وقيل سنة ٢٢ هـ وهو ابن ثوفى قال عمر: (مات سيد المسلمين) الإصابة -١/٦١٦، تذكرة الحفاظ ١/١٣.

(وذكر عن ابن كثير (١) حديث زر بن حبيش وقال حسن الإسناد وأن آية الرجم رُفِعت فـ ا رُفِعَ من القرآن)(٢).

وآية الرجم هي : ﴿الشيخ والشيخة إذا زنيا فأرجموهما البتة نكالاً من الله ،والله عزيز حكيم﴾ ذكرتها بعض كتب التفسير، كما أوردها الشيخان في صحيحهما وذكرها أصحاب السنن، وعدد من أئمة العلماء.

نذكر هنا الحديث الذي ذكر هذه الآية عند الشيخين:

(عن عبد الله بن عُتبة (٣) أنه سمع عبد الله بن عباس (٤) يقول : قال عمر ابن الخطاب(٥) وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ :إن الله قد بعث محمداً بالحق، وأنزل عليه الكتاب. فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها. فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده. فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى وإذا أحصن، من الرجال والنساء، إذا قامت (البيّنة أو كان الحَبَل(٦) أو الإعتراف).(٧).

١- ابن كثير هو اسماعيل بن عمر بن كثير . الحافظ عماد الدين أبو الفداء القرشي البصري الدمشقي ولد عام ٧٠١ هـ وكان قدوة العلماء والحفاظ توفي عام ٧٧٤ هـ.

٢- أنظر محمد بن علي بن محمد الشوكاني - فتح القدير - دار الحديث بالقاهرة - ط (١) ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م - ٥٦٤/٤.

٣- عبد الله بن عتبة - أبو قيس الذكواني، مدني روى عن سالم بن عبدالله بن عمر - أسد الغابة ٢٠١/٣.

٤- الإمام الحبر عالم العصر أبو العباس الهاشمي بن عم رسول الله (ﷺ) حبر الأمة ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، روى عن خلق كثير، توفي بالطائف سنة ٦٨هـ - تذكرة الحفاظ ٥/١.

٥- عمر بن الخطاب ابو حفص العدوي الفاروق وزير رسول الله (ﷺ) أيد الله به الإسلام وفتح به الأمصار ولد بعد عام الفيل بثلاث عشر سنة أسلم بعد أربعين رجل. قتله ابو لؤلؤة عام ٢٣ وكان عمره ٦٣ وقيل ٥٥ سنة أسد الغابة ٦٤٢/٣ -

٦- الحَبَل بأن كانت المرأة حبلى، ولم يعلم لها زوج ولا سيد.

٧- متفق عليه صحيح البخاري ابي عبد الله محمد بن اسماعيل - المكتبة الثقافية - بيروت - بدون (ط،ت) - كتاب الحدود - باب الإعتراف بالزنا رقم ٨٨٥ ٤جـ ٦٠٢/٢ - صحيح مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري - دار الفكر بيروت - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - ١٣١٧/٣ - حديث رقم ١٦٩١ - ١٣١٧/٣.

تسميتها :-

ذكر علماء التفسير أن هذه السورة سميت باسمين هما :-

أولاً : الأحزاب (وسميت بذلك لإشتمال الكلام فيها على وقعة الخندق، أو الأحزاب الذين تجمعوا حول المدينة من مشركي قريش وغطفان بالتواطوء(١) مع المنافقين ويهود بني قريظة لحرب المسلمين وآستئصالهم (٢)

ثانياً : (سميت بالفاضحة لأنها فضحت المنافقين وأبانت شدة إيذائهم لرسول الله ﷺ في أزواجه وتألبهم عليه في تلك الوقعة (٣).

سبب نزولها :-

نزلت هذه السورة في المنافقين وإيذائهم لرسول الله ﷺ وطعنهم فيه وفي مناكحته وغيرها . (٤).

مناسبتها لما قبلها :-

هناك أوجه تشابه وصلة تربط بين كل سور القرآن الكريم، فالقرآن الكريم هو بناء واحد لا ينفك عن بعضه البعض، فكل سور القرآن الكريم لها وحدة موضوعية واحدة فهي كالسلسلة لا تنفك عن بعضها، كما أن كل سورة تتصل بالتي قبلها والتي بعدها. وهنا تظهر صلة سورة الأحزاب بما قبلها وما بعدها.

وتظهر صلة هذه السورة بصورة السجدة بالتشابه بين مطلع سورة الأحزاب وخاتمة السجدة. فالسجدة ختمت بأمر النبي ﷺ بالإعراض عن الكافرين، وإنتظار عذابهم، والأحزاب بدأت بأمره ﷺ بالتقوى وعدم طاعة الكافرين، وإتباع ما أوحي إليه من ربه والتوكل عليه (٥).

---

(١) التواطؤ: التوافق .

(٢) وهبة الزحيلي - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - دار الفكر - بيروت - دمشق - ط (١) ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م - ٢١/ ٥٢٥.

(٣) المرجع السابق - نفس الصفحة والجزء.

(٤) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - دار الكاتب العربي - القاهرة - ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م - ١٣/ ١١٣ بيروت (ط).

(٥) أحمد مصطفى المراغي - تفسير المراغي - مطبعة البابي الحلبي - القاهرة ط (٥) ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م - ٢١/ ١٢٣.

نلاحظ في السورة كذلك ملامح من سورة النساء إذ تبدأ سورة النساء بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾(١) وتبدأ سورة الأحزاب بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾(٢) وكما تتحدث سورة النساء في مقطعها الأول عن قضايا لها علاقة بالأسرة فكذلك المقطع الأول من سورة الأحزاب.

كما أنه يجب أن يلحظ في سورة الأحزاب أن النداءين وهما ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾(٣) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (٤) يتناوبان تناوباً مضطرداً، إلا في آخر السورة إذ تتكرر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (٥) مرتين : مرة لتقابل نداء ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾(٦) ومرة لتقابل بداية السورة، إذ تبدأ السورة بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ (٧).

ومن هذه الملاحظات نرى أن هناك تناسباً بين سورة الأحزاب وسورة النساء.(٨)

التناسب بين آياتها :

تتناسب آيات سورة الأحزاب تناسباً عجيباً، إذ تأتي آياتها بتناسق عجيب وترتيب فريد، ونلحظ ذلك التناسب بين آياتها من الإستفتاح الى خاتمة السورة، إذ افتتح الله سبحانه وتعالى هذه السورة بخطاب نبيه ﷺ بالتقوى.. وخاطبه بلفظ النبوة.

.. ولما افتتح الله سبحانه وتعالى هذه السورة من إعلامه لرسوله عليه السلام بعلي

(١) النساء : ١

(٢) الأحزاب : ١

(٣) الأحزاب : ١

(٤) الأحزاب : ٩

(٥) الأحزاب : ٦٩، ٧٠

(٦) الأحزاب : ٥٩

(٧) الأحزاب : ١

(٨) أنظر سعيد حوى ٤٣٨١/٨، ٤٣٨٢

حاله ومزية قدرهـ، ناسب ذلك ما احتوت عليه السورة من باب التنزيه في مواضع منها إعلامه تعالى بأن أزواج نبيه ﷺ أمهات للمؤمنين فنزههن عن أن يكون حكمهن حكم غيرهن من النساء مزية لهن وتخصيصاً وإجلالاً لنبيه ﷺ . ويظهر ذلك في قوله تعالى ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (١) ومنها قوله تعالى ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (٢) فهذه الآية وغيرها نزهت المؤمنين عن تطرق سوء أو دخول إرتياب على مصون معتقداتهم وجليل إيمانهم، ومنها تنزيه أهل البيت وتكرمتهم. قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣) وغيرها من الآيات التي أوردت تنزيه المؤمنين وتقديم البشارة لهم، وتعظيم حرمتهم. وكذلك تضمنت السورة تعداد نعمه تعالى عليهم وتحسين خلاصهم كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ - إلى قوله تعالى : هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾(٤) وختمت السورة بذكر التوبة والمغفرة أوضح شاهد لما شهد من دليل قصدها وبيانها(٥) قال تعالى :﴿لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٦).

---

(١) الأحزاب (٣٢)

(٢) الأحزاب (٢٢)

(٣) الأحزاب (٣٣)

(٤) الأحزاب (٩-١١)

(٥) أنظر ابراهيم بن عمر البقاعي - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - دار الكتاب الإسلامي - القاهرة - ط "٣" ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م - ١٥/ ٢٧٧، - ٢٧٩ - ٢٨١.

(٦) الأحزاب (٧٣).

مناسبتها لما بعدها :-

- تظهر صلة سورة سبأ بسورة الأحزاب من ثلاثة وجوه :

الأول : أُفتُتِحتْ سورة سبأ ببيان صفات الملك التام والقدرة الشاملة التى تناسب ختام سورة الأحزاب فى تطبيق العذاب وتقديم الثواب.

الثانى : قال تعالى : ﴿**ليعذب الله المنافقين والمنافقات الى قوله وكان الله غفوراً رحيماً**﴾(١) هذه الآيه هى آخر الأحزاب وهى نفس فاصلة الآية الثانية من سورة سبأ وهو قوله تعالى:﴿**وهو الرحيم الغفور**﴾(٢).

الثالث : سأل الكفار فى سورة الأحزاب عن الساعة إستهزاء، وفى سورة سبأ حكى القرآن عنهم إنكارها صراحة(٣).

موضوع السورة وأغراضها :-

سورة الأحزاب من السور المدنية، فهى تتناول الجانب التشريعى للأمة المسلمة. كما أنها تتناول حياة المسلمين الخاصة والعامة فهى (تتولى قطاعاً حقيقياً من حياة الجماعة المسلمة، فى فترة تمتد من بعد غزوة بدر الكبرى، الى ما قبل صلح الحديبة، وتصور هذه الفترة من حياة المسلمين فى المدينة تصويراً واقعياً مباشراً. وهى مزدحمة بالأحداث التى تشير اليها خلال هذه الفترة، والتنظيمات التى أقرتها وأنشأتها فى المجتمع الإسلامى الناشئ.....

والسورة تتولى جانباً من إعادة تنظيم الجماعة المسلمة، وإبراز تلك الملامح وتثبيتها فى حياة الأسرة والجماعة، وبيان أصولها من العقيدة والتشريع. كما تتولى تعديل الأوضاع والتقاليد أو إبطالها وإخضاعها فى هذا كله للتصور الإسلامى الجديد)(٤).

---

(١) الأحزاب (٧٣)

(٢) سبأ (٢)

(٣) أنظر وهبة الزحيلى / التفسير المنير ٢١/ ١٣١.

(٤) أنظر سيد قطب - فى ظلال القرآن - دار إحياء التراث العربى - بيروت ط "٥" ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م - ٥ / ٥٢٥.

كما أن موضوع هذه السورة متعلق بآداب النبى ﷺ مع ربه وأزواجه وعامة المسلمين، وأمره الله تعالى بما ينبغى أن يكون عليه مع ربه بقوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾(١) وما ينبغى أن يكون عليه مع أزواجه بقوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ﴾(٢) وما ينبغى أن يكون عليه مع عامة الخلق بقوله(٣) : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾(٤).

وبنظرة مجملة فى تلك السورة نجد أن موضوعاتها أوامر الهية للرسول ﷺ، ونفى أن يجمع الإنسان بين عقيدتين وتحريم الظهار وتصحيح الأنساب بإبطال التبنوة المدعاة، ومحبة المؤمنين للرسول ﷺ، وحقوق أزواجه على المسلمين، وإبطال تشريع بين المهاجرين والأنصار فى الميراث وغيره. وانتصار المسلمين فى غزوة الأحزاب، وإبطال كيد المنافقين، وتأسى المؤمنين بالرسول ﷺ والثناء عليه، ودعوة زوجات الرسول ﷺ إلى الزهد فى زينة الدنيا.... وفضلهن وفضائل المسلمين... والزواج بمطلقة الأبن المُتَبنَّى، وعدم وجوب العدة على المطلقة قبل الدخول بها وما أحل الله للرسول من الزوجات والأدب مع الرسول ﷺ وزوجاته وزيهن وزى المؤمنات حين يردن الخروج، وتهديد المنافقين، وعذاب الكافرين، وثواب طاعة الله ورسوله، وحمل الإنسان لأمانة التكليف والإيمان بالله وتوحيده.(٥)

---

(١) الأحزاب (١)

(٢) الأحزاب (٢٨)

(٣) وهبة الزحيلى - التفسير المنير - ٢٢/ ٤٧.

(٤) الأحزاب (٤٥)

(٥) انظر شوقى ضيف - الوجيز فى تفسير القرآن الكريم - دار المعارف - القاهرة - ط ٦٨٩ - بدون تاريخ ورقم طبعة.

ويمكن تقسيم السورة كما أشار صاحب التفسير المنير الى ثلاثة أقسام :-[1]

الأول : الآداب الاجتماعية : -

التى تتمثل فى أدب الدعوة الى الولائم، والحجاب وعدم التبرج، وتعظيم النبىﷺ فى بيته ومع الناس، والقول السديد وغيره من الآداب الاجتماعية التى ذكرتها السورة.

الثانى : الأحكام التشريعية :-

ذكرت السورة عدداً من الأحكام التشريعية نذكر منها : الأمر بتقوى الله وعدم طاعة الكافرين والمنافقين ووجوب اتباع الوحى، وحكم الظهار وإبطال عادة التبنى وعادة التوريث بالحلف، وعدد زوجات الرسول ﷺ، وفرض الحجاب الشرعى... وتحريم إيذاء الرسول ﷺ والمؤمنين وغيرها من الآداب التى ذكرتها السورة.

الثالث : أخبار السيرة:-

والتى تتمثل فى غزوة الأحزاب وغزوة بنى قريظة، وقصة زيد بن حارثة مولى النبى ﷺ زوج زينب بنت جحش التى تزوجها النبى ﷺ إبطالاً لعادة التبنى التى كانت سائدة فى الجاهلية وأول الإسلام.

---

(١) أنظر وهبة الزحيلى - التفسير المنير - ٢١ / ٢٢٦ .

الفصـــــــــــــل الأول

التربية على طاعة النبى صلى الله عليه وسلم وحبه

المبحث الأول : الإقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم والنهى عن إيذائه

المبحث الثانى : الصلاة على النبى صلى الله على وسلم

إن طاعة رسول ﷺ من طاعة الله عز وجل، قال تعالى : ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾(١) وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال : (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله)(٢).

إن طاعة النبي ﷺ تتأتى من إتباع سنته والإهتداء بهديه وإقتفاء أثره وهذا ينتج من الإقتداء به ﷺ والنهي عن إيذائه.

وكذلك حب النبي ﷺ مقرون باتباع الله عز وجل والعمل بشريعته، فإتباع شرعه ﷺ هو دليل الحب الصادق، فمن يحب النبي ﷺ يحشره الله عز وجل معه لقوله ﷺ إن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ : (متى الساعة قال له رسول الله ﷺ ما أعددت لها؟ قال: حب الله ورسوله) قال: أنت مع من أحببت)(٣) فمن أحب الله ورسوله حشره الله تعالى مع حبيبه المصطفى ﷺ، لأن المرء يحشره الله تعالى مع من أحب.

إن الدليل الصادق على حب حبيبه المصطفى ﷺ الصلاة عليه إذ أن الصلاة عليه ﷺ من أعظم القربات التي تقربنا من الله عز وجل، فهي دليل على حبه وعظم مكانته، فمن أحب شخص ذكره في كل وقت وحين فنحن معه ﷺ بكل شعورنا وحواسنا. فنصلي ونسلم عليه في كل لَمحةٍ ونفس وطرفة عين الى أن يقبض الله أرواحنا التي تتشرف بلقائه ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين وتابعيه ومن تبعه بإحسان الى يوم الدين.

---

(١) النساء : ٨٠.

(٢) البخاري - كتاب الأحكام - باب قوله تعالى :(وأطيعوا الله والرسول). حديث رقم ١-ج ١١١/٩.

(٣) مسلم - كتاب البر - باب المرء مع من أحب - حديث رقم ١٦١-٢٠٣٩/٤ .

المبحث الأول: الإقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم والنهى عن إيذائه

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾(١).

معنى أسوة فى اللغة :-

الأسوة :- (القدوة، وما يتعزى به) (٢).

(ولى فى فلان أسوة أى قدوة، أى أقتدى به)(٣).

(والأسوة كالقدوة والقدوة هى الحالة التى يكون عليها الإنسان فى إتباع غيره إن حسناً وإن قبيحاً وإن ساراً وإن ضاراً (٤). ولهذا قال تعالى ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فوصفها بالحسنة(٤).

معنى أسوة فى الاصطلاح :-

يراد بالأسوة القدوة بمعنى المقتدى على معنى هو صلى الله عليه وسلم فى نفسه قدوة يحسن التأسى به... والآية سيقت للإقتداء به ﷺ فى أمر الحرب من الثبات ونحوه، فهى عامة فى كل أفعاله ﷺ (٥)

كلمة أسوة عند القراء :-

إن كلمة أسوة فيها قراءتان بالضم والكسر واختلف القراء فى قراءة قوله تعالى: ﴿أُسْوَةٌ﴾ فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار (إِسْوَةٌ) بكسر الألف.

وعاصم بن أبى النجود* قرأها بالضم (أُسوة).

---

(١) الأحزاب (٢١)

(٢) المعجم الوسيط - دار إحياء التراث الإسلامى - قطر - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥ - اخراج ابراهيم عطية وآخرون - ص ١٩ بدون ط.

(٣) أحمد فارس إبراهيم - مجمع مقاييس اللغة العربية - دار الكتب العلمية - إيران بدون(ط،ت)-١٠٥/١ - تحقيق محمد عبد السلام هرون.

(٤) سميح عاطف الزين - مجمع البيان الحديث تفسير مفردات الفاظ القرآن الكريم - دار الكتاب اللبنانى - بيروت ط ٢١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ص ٧٧.

(٥) الألوسى-روح المعانى ج/٢١ /١٦٧.

* أبو بكر عاصم بن أبى النجود بهدلة مولى بنى جذيمة بن مالك، أحد القراء السبعة المشار إليهم فى القراءات، أخذ القراءة عن أبى عبد الرحمن السلمى وزر بن حبيش توفى سنة ١٢٧هـ. وفيات الأعيان ٩/٣.

وكان يحى بن وثاب* يقرأ هذه بالكسر، ويقرأ قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ﴾(١) بالضم، وهما لغتان. وذُكِرَ إن الكسر فى أهل الحجاز والضم فى قيس، يقولون : (أُسوة، أُخوة) (٢).

أقوال العلماء فى تفسير الآية :-

(هذه الآية الكريمة أصل كبير فى التأسى برسول الله ﷺ فى أقواله وأفعاله وأحواله. ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتآسى بالنبى ﷺ (٣) فى كل أقواله وأفعاله التى جاء بها من رب العزة والكرامة، لأننا إذا إقتدينا وتأسينا به فقد نلنا خير الدنيا والآخرة.

(لما ذكر الله سبحانه وتعالى غزوة الأحزاب، وموقف المنافقين المذبذبين منها، بالقعود عن الجهاد وتسبيط العزائم) (٤) أمر المؤمنين بالتآسى به فى صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وإنتظار الفرج من ربه عز وجل يوم الأحزاب حين واجه الحلفاء من المشركين واليهود ومن جاورهم حين تجمعوا حول المدينة وأحاطوا بها، فصبر صلوات الله وسلامه عليه، وانتظر الفرج من ربه عز وجل. لهذا قال للذين تضجروا وتزلزلوا واضطربوا فى أمرهم يوم الأحزاب(٥) : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(٦) إذ أنه صبر وصابر ورابط وجاهد فى سبيل الله تبارك وتعالى فنصره الله تعالى بصبره ورباطه.

---

(١) الممتحنة (٦)

(٢) محمد بن جرير الطبرى - جامع البيان فى تفسير القرآن - دار الفكر - بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤ - ١٤٣/١١ بدون "ط".

(٣) عماد الدين أبى الفداء اسماعيل بن كثير - تفسير القرآن العظيم - دار إحياء الكتب العربية - مصر - ٤٧٤/٣ - بدون (ط، ت).

(٤) محمد على الصابونى - صفوت التفاسير - دار القرآن الكريم - بيروت - ط (٤) ١٤٠٢هـ ١٩٨١م - ٥١٩/٢.

(٥) أنظر ابن كثير - تفسير القرآن العظيم-٤٧٤/٣.

(٦) الأحزاب (٢١).

* يحيى بن وثاب الأسدى الكوفى، تابعى ثقة، روى عن ابن عمر وابن عباس، وكان من أحسن الناس قراءة، مات سنة ١٠٣هـ. طبقات القراء - ٣٨٠/٢.

فلهذا يجب علينا أن نتأسى به لأنه لا ينطق عن الهوى بل يوحى اليه من ربه عز وجل. الذى قال : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾(١) أى أن ما جاء به ﷺ من قول أو فعل فهو من ربه، لا من نفسه ورأيه.

إن التأسى والإقتداء بالنبى ﷺ لا يتأتى إلا من المؤمنين، لا من الكافرين والمنافقين، لهذا (حث الله تعالى جميع المكلفين على مواساة الرسول ﷺ وموازرته كما واسلهم بنفسه فى الصبر على الجهاد والثبات فى مراحمن الاقدام)(٢) كما أن فى هذه الآية عتاب للمتخلفين عن القتال من المنافقين واليهود الذين كانوا ينتظرون هزيمة المسلمين وخروجهم من المدينة ؛ أى كان لكم قدوة فى النبى ﷺ حين بذل نفسه لنصرة دين الله فى خروجه إلى الخندق لمحاربة الأحزاب الذين تجمعوا حول المدينة.(٣).

فواجب علينا نحن المسلمين أن نقتدى به ﷺ، لأنه صبر على معاناة المشركين فى مكة، و فى غزوة أحد كسرت رباعيته، وشج وجهه، وقتل عمه حمزة(٤) وجاع بطنه ولم يُلقَ إلا صابراً محتسباً راضياً مرضياً شاكراً لربه عزل وجل (فكان عليكم أيها المسلمون أن تواسوا رسول الله ﷺ بأنفسكم وتوازروه وتثبتوا معه(٥).

---

(١) النجم (٣ - ٤)

(٢) نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمى النيسابورى - غرائب القرآن ورغائب الفرقان - مكتبة مصطفى البابى الحلبى - ط (٢)١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م ٦/٢٢ - تحقيق محمد عطوه عوض.

(٣) أنظر القرطبى - الجامع لأحكام القرآن مرجع سابق ١٣/١٥٥ - ١٥٦.

(٤) أبو عمار حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشى الهاشمى ، عم النبى صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة ، شهد بدراً وأبلى بلاءاً حسناً أستشهد بأحد سنة ٣ هـ - أسد الغابة ٣/٥٧-٥٨.

(٥) محمود بن عمر الزمخشرى - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التاويل - دار الفكر - بيروت بدون (ط، ت) - ٣/٢٥٦.

والمعنى (إقتدوابه إقتداءاً حسناً، وهو أن تنصروا دين الله وتوازروارسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبرواعلى ما يصيبكم)(١) لأنه صلى الله عليه وسلم لاقى فى سبيل نشر الدعوة وإيصالها لكل الناس ما لا يتحمله بشر، ولكنه فى سبيل وصول دعوة الإسلام إلى كل العالم صبر وتحمل كل أذى، وحمد الله على كل شدة. فأقل شئ نفعله نحن المسلمين أن نقتدى بالرسول صلى الله عليه وسلم، لأنه منقذنا من الضلال الى هدى الله وهادينا الى الطريق القويم والصراط المستقيم.

(لقد كان لنا فى أخلاقه وأفعاله قدوة حسنة إذ منها ثباته فى الشدائد وهو مطلوب. وصبره على البأساء والضراء وهو مكروب وكانت نفسه فى اختلاف الأحوال ساكنة ولا يخور فى شديدة ولا يستكين لعظيمة أو كبيرة. ولقد لقى بمكة من قريش ما يشيب النواصى ويهد الصياصى وهو مع الضعف صابر صبر المستعلى، وثابت ثبات المستولى)(٢) .

فالأصل أن رسول الله ﷺ إسوة وجعل متعلق التأسى ذات الرسول ﷺ دون وصف خاص ليشمل الإئتساء به فى أقواله بإمتثال أوامره وإجتناب ما ينهى عنه والإئتساء بأفعاله من الصبر والشجاعة والثبات وغيرها من أفعاله ﷺ. فالذين ائتسوا بالرسول ﷺ يومئذ ثبت أنهم يرجون الله واليوم الآخر وذكروالله كثيراً(٤). أى يرجون لقاء الله بإيمانهم وبصدقهم بالبعث الذى فيه جزاء الأفعال. وقيل لمن كان يرجو ثواب الله فى اليوم الآخر ... وذكر الله كثيراً خوفاً من عقابه ورجاء ثوابه)(٥).

---

(١) صديق بن حسن بن على الحسين القنوجى - فتح البيان فى مقاصد القرآن - دار أحياء التراث الإسلامى - قطر - ١٤١٠هـ١٩٨٩م - ٦٦/١١ - راجعه عبد الله بن ابراهيم الإنصارى.

(٢) محمد جمال الدين القاسمى - محاسن التأويل - دار الفكر - بيروت ط (٢) ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧ - ٣٢٦/١٣.

(٤) محمد طاهر عاشور - التحرير والتنوير - مرجع سابق - ٢١/ ٣٠٣

(٥) القرطبى - الجامع لأحكام القرآن- ١٣ / ١٥٦.

فبرجاء ثواب الله وخوف عقابه تعالى ولقائه واليوم الآخر وذكر الله في جميع أحواله، فإن بذلك تتحقق الأسوة الحسنة بالرسول ﷺ (١). لأن من ائتسى بالرسول ﷺ أي جعله مثله الأعلى إذ يقتدى به في سائر أموره وفي حياته اليومية، فهو لا يفعل شيئاً إلا كما يفعله رسول الله ﷺ، أي أنه مقلد له في كل أفعاله. فمن إقتدى برسول الله ﷺ في كل أحواله فهو يكون مع الله ويشعر بمراقبة الله في كل حركاته وسكناته ويرجو ثواب الله ويخشى عقابه ويذكر الله في كل وقت من أوقات حياته.

إن التأسي برسول الله ﷺ خصلة جميلة زاكية لا يتصف بها كل من تسمى بالإيمان، وإنما يتصف بها كل من ذاق حلاوة الإيمان وشعر بها في جميع حركاته وسكناته فهو الذي يرجو اليوم الآخر ويعمل الصالحات،ومع ذلك فقد ذكر الله ذكراً كثيراً فكان لا يغفل لسانه عن ذكر ربه فتأسى بالنبي ﷺ في أفعاله وأعماله(٢). (ومن كان يرجو الله كان عمله خالصاً لوجه الله تعالى، ومن كان يرجو اليوم الآخر يكون عمله الفوز بنعيم الجنان، وكل هذه المقامات مشروطة بالذكر وهو كلمة لا الله إلا الله محمد رسول الله ﷺ نفياً وإثباتاً، وهما قدمان للسائرين الى الله وجناحان للطائرين بالله) (٣).

إن رسول الله ﷺ المثل الأعلى والقدوة الحسنة، ويتمثل لنا موقفه أكثر في غزوة الأحزاب (على الرغم من الهول المرعب والضيق المجهد، مثابة الأمان للمسلمين، ومصدر الثقة والرجاء والإطمئنان إذ أنه ﷺ كان يعمل مع المسلمين في الخندق يضرب بالفأس ويجرف التراب ويحمله على ظهره، ومع ذلك يرفع صوته بالرجز مع المرتجزين في أثناء العمل فيشاركهم الترجيع.

ولنا أن نتصور هذا الجو الذي يعمل فيه المسلمون والرسول ﷺ بينهم،

---

(١) أنظر صديق خان - فتح البيان ٦٧/١١.

(٢) أنظر محمد حسين الطباطبائي - الميزان في تفسير القرآن - دار الكتب الإسلامية - طهران - ١٣٦٢هـ - ٣٠٥/١٦ بدون (ط).

(٣) نظام الدين النيسابوري - غرائب القرآن - ٦/٢٢.

إن هذا الجو يطلق في أنفسهم حماسة ويتفجر في كيانهم بالرضى والثقة والحماسة والإعتزاز، فكان ﷺ يري النصر في ومضات الصخور على ضرب المعاول، فيحدث بها المسلمين ويثبت فيهم الثقة واليقين(١) ويروى لنا ذلك سلمان الفارسي (٢) رضي الله عنه أنه قال : (ضربت في ناحية من الخندق فغلظت على صخرة، ورسول الله ﷺ قريب مني فلما رآني أضرب، ورأى شدة المكان عليَ، نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة : قال ثم ضرب أخرى، فلمعت تحته برقه أخرى، قال ثم ضرب به الثالثة، فلمعت تحته برقة أخرى. قال قلت بأبي وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت، لمع المعول وأنت تضرب؟ قال : (أوقد رأيت ذلك يا سلمان)؟ قال : قلت: نعم قال : (أما الأولى فإن الله فتح علي بها اليمن. وأما الثانية فإن الله فتح على بها الشام والمغرب. وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق)(٣). إن هذه وغيرها من البشارات التي بشر الله بها نبيه وحبيبه ﷺ التي هي فاتحة خير لغد مشرق إذ فتح الله لرسوله ﷺ كل البقاع التي رآها أثناء ضربة الصخرة التي اعترضت سلمان الفارسي، وهو يعمل مع المسلمين في حفر الخندق، ذلك هو القائد الفذ الذي يرسم الطريق لكل قواد الحركات الإسلامية، فيجب عليهم أن يقتدوابرسول الله ﷺ ليسيروا على ما رسمه لهم الله ورسوله . ليتمكن دين الله في الأرض، فمن سار على نهج رسول الله ﷺ كان الله ناصره ومعينه على كل أعدائه.(٤)

---

(١) أنظر سيد قطب – الظلال – ٢٨٤١/٥ .

(٢) أبو عبد الله يقال أنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف بسلمان الخير أصله من فارس سمع ببعث النبي صلى الله عليه وسلم فخرج في طلبه، شهد الخندق وبقية المشاهد. وقيل شهد بدراً – مات سنة ٣٦ وقيل ٣٧ – الإستيعاب ٣٢٢/٤ الإصابة ٢٢٣/٤.

(٣) عبد الملك بن هشام – السيرة النبوية – مؤسسة علوم القرآن –بيروت – ٢/٩/٣– تحقيق مصطفى السقا وآخرون.

(٤) سيد قطب – الظلال – ٢٨٤٢/٥.

حكم الإقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم :-

أُختُلِفَ فى هذه الأسوة بالرسول ﷺ أمن الواجبات أم من المستحبات على قولين:-

الأول:- على الإيجاب حتى يقوم دليل الإستحباب.

الثانى: على الإستحباب حتى يقوم دليل الإيجاب.

ويحتمل أن تُحْمَل على الإيجاب فى أمور الدين، وعلى الإستحباب فى أمور الدنيا(١). أى أنه فى أمور الدين، فواجب على المسلمين أن يقتدوا برسول الله ﷺ ، أما فى أمور الدنيا يستحب الإقتداء بالنبى ﷺ لكن يجب علينا أن نتآسى بالرسول ﷺ فى كل أمورنا الدينية والدنيوية، لأنه ﷺ لولاه لما كنا على ظهر هذه الدنيا، ولولاه لظللنا نرزخ فى ظلمات الجهل والشرك.

نماذج من إقتداء الصحابة بالنبى ﷺ :-

أولاً نذكر موقف الرسول ﷺ فى غزوة الخندق وهو مع أصحابه الكرام يحمل التراب فوق ظهره ويوقد لهم النار للأكل، لهذا كانوا يتسابقون فى العمل فهذا نبيهم الكريم يشارك فى العمل، فلذلك كانوا حوله كخلية النحل، فكان ﷺ نعم القدوة الحسنة التى اقتدى بها الصحابة الكرام فى كلما يفعلون، فكانوا لا يفعلون شيئاً إلا كما يفعله ﷺ، فكانوا نعم الإسوة لنا نحن المسلمين. فنبغى بهذه الصفات وتلك الخلال يجب علينا أن ننصره ونوازره ولا نرغب بأنفسنا عن نفسه ولا عن مكان هو فيه ونبذل أنفسنا دونه، فلولاه لما حصل لنا من الهداية للإسلام، وهذه الهداية أعظم من كل ما نفعله معه ﷺ من النصرة والجهاد فى سبيل الله واليوم الآخر (٢).

ثانيا: أخرج ابن ماجه* (عن حفص بن عاصم** قال : قلت لعبد الله بن عمر*** رضى الله تعالى عنهما رأيتك فى السفر لا تصلى قبل الصلاة ولا بعدها فقال : يا ابن أخى صحبت رسول الله ﷺ كذا وكذا فلم أره يصلى قبل الصلاة ولا بعدها)(٣) فهذا الحديث يدل على إقتداء الصحابة برسول الله ﷺ فى حله وترحاله وفى نومه وفى صحوته.

---

(١) أنظر القرطبى - الجامع لأحكام القرآن - ١٤/ ١٥٦.

(٢) محمد بن يوسف ابى حيان - البحر المحيط - دار الفكر - بيروت ط(٢) ١٣٠٤هـ ١٩٨٣م ج ٢٢٢/٧.

* ابن ماجه محمد بن اسماعيل بن يزيد- صاحب السنن والتفاسير والتاريخ ولد سنة ٢٠٩هـ وتوفى سنة ٢٧٣ - تذكرة الحفاظ ٦٤٦/٢

** حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب - روى عن أبيه وعمه عبد الله فهو ثقة مجمع عليه - تذكرة الحفاظ - ٢/ ٤٣٦ .

*** عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى أسلم وهو صغير لم يشهد أحد ولا بدر لصغر سنه توفى سنة ٤١ هـ وهو ابن ٨٦ سنة وقيل ٨٤ سنة- أسد الغابة - ٣/٣٦٠ -

ثالثا: عن سعيد بن يسار* قال: كنت مع ابن عمر رضى الله عنهما فى طريق مكة فلما خشيت الصبح نزلت فأوترت فقال بن عمر رضى الله عنه أليس لك فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة قلت : بلى قال : فإنه كان يوتر على البعير.(١) فهذا الصحابى لو علم أن رسول الله ﷺ كان يوتر على البعير لما توانى فى إقتدائه به ﷺ.

رابعاً: عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سئل عن رجل معتمراً طاف بالبيت أيقع على إمرأته قبل أن يطوف بالصفا والمروة؟ فقال : (قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت وصلى خلف المقام ركعتين وسعى بين الصفا والمروة ثم قرأ (٢) ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(٣).

خامساً: عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: اتخذ النبى ﷺ خاتماً من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب فقال النبى ﷺ:(إنى إتخذت خاتماً من ذهب فنبذه** فقال أنى لنه ألبسه أبداً فنبذ الناس خواتيمهم)(٤).

هذه النماذج قطرة من بحر الصحابة الذين ما جهلوا صغيرة ولا كبيرة إلا ائتسوا فيها بالرسول صلى الله عليه وسلم. ونحن بأثرهم نقتدى به ﷺ فى كل أقواله وأفعاله ومنامه وكلامه وفى كل ما وصل إلينا من أخبار ﷺ لكى نحيى سنته إطاعة له ولخالق الكون ونسير بالهدى الذى اهتداه الله لنا.

---

(١) جلال الدين السيوطى - الدر المنثور فى التفسير المأثور - دار المعرفة - بيروت - ٥/١٨٩ - بدون تاريخ وبدون رقم ص١٨٩/٥.

(٢) المرجع نفسه - ٥/ ١٨٩ - ١٩٠.

(٣) الأحزاب: ٢١

(٤) البخارى - كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة - باب الإقتداء بأفعال النبى ﷺ - رقم ٦٩ - ٦/١٧٣.

* سعيد بن يسار أبو الحباب المدنى مولى ميمونة وقيل مولى شقران أو مولى الحسن بن على. مات سنة ١١٦هـ وقيل غير ذلك وكان عمره ٨٠ سنة - تهذيب التهذيب - ٤/٩٠.

** نبذه : طرحه ورماه.

النهى عن إيذاء النبى صلى الله عليه وسلم :-

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً﴾(١)

سبب نزول الآية :-

١- عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية فى الذين طعنوا فى النبى ﷺ حين إتخذ صفية* بنت حُيىّ.* وقيل أيضاً : أُنزلت فى عبد الله بن أبى وناس معه قذفوا عائشة، فخطب النبى ﷺ وقال : (من يعذرنى من رجل يؤذينى ويجمع فى بيته من يؤذينى) (٢).

٢- (وعن عكرمة* قال إنها نزلت فى المصورين أى أصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله)(٣)

أقوال العلماء فى تفسير الآية :-

يقول الله تعالى متهدداً ومتوعداً من آذاه بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك وإيذاء لرسول الله ﷺ بنقص أو عيب. وحاشا للرسول ﷺ أن يكون به عيبٌ أو نقص(٤)

أما إيذاء الله تعالى يكون بالكفر ونسبة الصاحب والولد والشريك اليه ووصفه بما لا يليق به.

وفى الحديث القدسى (قال الله يؤذينى ابن آدم يقول : يا خيبة الدهر فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإنى أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فإذا شئت قبضتهما(٥) شتمنى عبدى فقال إن لى ولداً وكذبنى فقال : إنه لن يبعث) (٦). ويكون إيذاء الله تعالى أن يسب الشخص بعض الأشياء التى تفسد عليه بعض حاجاته وتسبب له بعض الأذى كسيل جارف مثلاً أو رياح عاتية.

---

(١) الأحزاب (٥٧)

(٢) أنظر وهبة الزحيلى - التفسير المنير - ٢٢/٩٥.

(٣) الطبرى - جامع البيان - ٣/٥١٧.

(٤) أنظر ابن كثير - تفسير القرآ. العظيم - ٣/٥١٧.

(٥) عبد الحق بن عطية الأندلسى - المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز - دار العلوم - الدوحة - ط "١" ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - ١١٣/١٢ - ١١١١٤ - تحقيق عبدالله ابراهيم الأنصارى والسيد عبد العال السيد ابراهيم.

(٦) مسلم - كتاب الألفاظ من الأدب وغيره - باب النهى عن سب الدهر ٤/١٧٦٢ - رقم ٣ .

* صفية بنت حُيى بن أخطب من بنى إسرائيل ولد هرون بن عمران. أمها برة زوجة سلام بن مشكم، أخذها النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر فاعتقها وتزوجها وكانت من عقلاء النساء، توفيت سنة ٣٦هـ وقيل ٥٠هـ - أسد الغابة ١ / ١٦٩ .

فإذا سب الشخص الريح والمطر فكأنه قد أذى الله لأن الله سبحانه وتعالى قال في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (يقول الله عز وجل : يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار)(١). (ومعنى هذا الحديث أن الجاهليين - أهل الجاهلية التي كانت قبل الإسلام - كانوا يقولون يا خيبة الدهر فعل بنا كذا وكذا فيسندون أفعال الله تعالى الى الدهر ويسبونه وإنما الفاعل لذلك هو الله عز وجل فنهى عن ذلك) (٢). لأن الله هو فاعل النوازل والحوادث وخالق الكائنات.

وقيل أذى الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين. يقول اليهود :﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾(٣)و﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾(٤) وقول النصارى ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾(٥) وقول المشركين الملائكة بنات الله والأصنام آلهة شُركاء لله)، وقيل قول الذين يلحدون في أسمائه وصفاته(٦) قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٧).

نوع الأذى الذي تلقاه الرسول (ﷺ) :-

تلقى رسول الله ﷺ صنوفاً من الأذى وألواناً من العذاب؛ فكان الكفار يأذونه بأقوالهم وأفعالهم، فمن أقوالهم : قولهم (ساحر وشاعر وكاهن ومجنون). وكذلك طعنهم عليه في نكاحه لصفية بنت حُيَيّ، أما أذيتهم له ﷺ بالأفعال (كسرهم لرباعيته وشجهم لوجهه يوم غزوة أحد ، وفي مكة ألقِيَ السَّلَى على ظهره وهو ساجد، وغير ذلك مما لاقاه في سبيل نشر دعوته وإظهارها. ومع هذا الأذى كان صابراً.(٨)

---

(١) متفق عليه - مسلم - كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها - باب النهي عن سب الدهر٤/١٧٦٢. باب النهي عن سب الدهر ١٧٦٢/٤ و البخاري - كتاب الأدب - باب لا تسب الدهر - ١١٥/٧.

(٢) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ٥١٧/٣.

(٣) المائدة : (٦٤).

(٤) التوبة : (٣٠).

(٥) التوبة: (٣٠).

(٦) الزمخشري - الكشاف - ٢٧٣/٣.

(٧) الأعراف : (١٨٠).

(٨) ينظر القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ٢٣٨/٤.

(إن إيذاء الناس للنبي ﷺ بشعاً شنيعاً ملعوناً قبيحاً ويزيده بشاعة وشناعة أنه إيذاء لله من عبيده ومخالفيه وهم لا يبلغون أن يؤذوا الله، وإنما هذا التعبير يصور الحساسية بإيذاء رسوله وكأنما هو إيذاء لذاته جلّ وعلا، فما أفظع وما أشنع وما أبشع)(١).

(ومن المعلوم أن الله سبحانه منزه من أن يناله الأذى وكل ما فيه النقص والهوان فذكره مع الرسول ﷺ وتشريكه في إيذائه تشريف للرسول ﷺ وإشارة الى أن من قصد رسوله بسوء فقد قصده أيضاً بالسوء، إذ ليس للرسول إلا ربه فمن قصده قصد ربه).(٢) وذكر اسم الله للتشريف وعبر عن إيذاء الله ورسوله ﷺ بفعل ما لا يرضى به الله ورسوله كالكفر وإنكار النبوة، كما أن أقوال اليهود والنصارى والمشركين تؤذي رسول الله ﷺ، حين دعا جل وعلا هؤلاء إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونبذ ما كانوا يدعون بأن له بنات أو ولد بل أنه منزه من كل ما قالوا وهو أحد فرد أحد قال تعالى في سورة التوحيد(٣): ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(٣) فتعالى الله علواً كبيراً في أن تكون له صاحبة أو ولد، فهو منزه من كل نقص بل له الكمال كله وحده لا شريك له.

إن من آذى رسول الله ﷺ فقد آذى الله سبحانه وتعالى، لأن الرسول ﷺ قد أرسله الله سبحانه وتعالى إلى كافة الناس بشيراً ونذيراً، فيجب على كل البشر عدم إيذائه، بل عليهم طاعته ﷺ طاعة مطلقة في كل أمر من أمور الحياة، لأن طاعة رسول ﷺ طاعة لله عز وجل، ومعصيته معصية الله سبحانه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾(٤) وقال أيضاً ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾(٥).

---

(١) سيد قطب - الظلال - ٥/ ٢٥٧٩.

(٢) الطباطبائي - الميزان - ٦/١٦/٣٦.

(٣) سورة الإخلاص: (١-٤).

(٤) محمد: (٣٣).

(٥) الأحزاب (٣٦).

جزاء من آذى الله ورسوله :-

رتب الله سبحانه وتعالى جزاءين لمن يؤذى الله ورسوله وهما :-

أولا: اللعن فى الدارين قال تعالى :﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾(١) ويقول جل وعلا ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(٢). وقال : ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾(٣). واللعن من أشد المحذرات لأن البعد من الله لا يرجى معه خير بخلاف التعذيب بالنار وغيره،لأن المبعد من الدنيا يرجو القرابة فى الآخرة، فإذا أبعد من الآخرة فقد خاب وخسر لأن الله إذا أبعده وطرده من رحمته فلا يجد من يقربه يوم القيامة لأن الله بيده الأمر كله. قال عز من قال : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٤) والمعنى (طردهم الله من رحمته وأحل عليهم غضبه فى الدنيا بالذل والهوان وفى الآخرة بالخلود فى النار.)(٥)

إن اللعن فى الدنيا والآخرة والطرد من رحمته سبحانه وتعالى جزاء يناسب من آذى الله ورسوله، ألم يفكر فى نفسه، من خلقه فصوره وأحسن صورته؟ إنه الله الذى خلقه من العدم وأوجده شخصاً كاملاً سوياً مكرماً. قال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(٦). كما إن نعم الله علينا كثيرة لا تعد ولا تحصى. قال تعالى :﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾(٧) لذلك يجب علينا أن ننظر لهذه النعم فلا نقابلها بالجحود والنكران بل نقابلها بالشكر والإحسان، وهذا الرسول الذى بعثه الله لينقذ الناس من الضلالة الى الهدى ومن ظلمات الكفر والمعاصى الى نور الإسلام والقرآن الذى إستنار به الكون وأضاء، وهداهم الى صراط العزيز الحميد.

ثانياً: العذاب المهين فى النار : قال تبارك وتعالى : ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين﴾(٨).

---

(١) الأحزاب : (٥٧).

(٢) البقرة : (٨٩).

(٣) الرعد : (٢٥).

(٤) هود : (١٢٣).

(٥) ينظر الصابونى - صفوت التفاسير - ٥٣٧/٢

(٦) التين : (٤).

(٧) إبراهيم : (٣٤).

(٨) الحج : (٥٧).

وقال أيضاً : ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾(١) إن الله سبحانه وتعالى أعد لمن آذى الله ورسوله عذاباً مهيناً، (فَمَنْ آذى الله ورسوله فهو من المخلدين في النار فيعذب عذاباً مهيناً) أي (هيأ لهم عذاباً شديداً بالغ الغاية في التحقير الإهانة مع الإيلام وهو العذاب بالنار والخلود فيها)(٢) (ووصف العذاب بالمهين لأنهم يقصدون باستكبارهم في الدنيا إهانة الله ورسوله فقوبلوا في الآخرة بعذاب يهينهم إهانة ما بعدها إهانة، لأنهم تجرءوا على الله ورسوله،ووصفهم بما لا يليق بهم من أقوال نسبوها الى الله تعالى، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ومن أقوال وأفعال آذوا بها رسول الله ﷺ فهم يستحقون كل أنواع التعذيب (٣).

إن الذي يؤذي الله بالإشراك ونسبة ما لا يليق به والكذب عليه وعدم الإمتثال لأمره، ومخالفة رسله، وإيذاء الرسول ﷺ بوصفه بما لا يليق به، والهجوم عليه وعدم الإمتثال له، وتكذيبه والطعن فيه وفي آل بيته والكلام في حقه وعدم الرضا بفعله، كل هذا إيذا لله ورسوله الذي يترتب عليه العذاب الشديد والجزاء العاجل في الدنيا والآخرة(٤).

قال علماء التفسير:أن قوله تعالى :﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً. وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾(٥).

(إن هذه الآية متصلة بما تقدم من المنع من إيذاء النبي ﷺ، وكان قد تأذى ببعض زوجاته، قيل سألنه شيئاً من عرض الدنيا، وقيل : زيادة النفقة وقيل آذينه بغيرة بعضهن على بعض. وأمره تعالى بتلاوة هذه الآية عليهن وتخييرهن بين الدنيا والآخرة، فاخترنه ﷺ)(٦)

---

(١) الأحزاب : (٥٧)

(٢) أنظر الصابوني-٣/٥٣٧.

(٣) الطباطبائي - الميزان -١٦/٣٦٠.

(٤) أنظر محمد محمود حجازي - التفسير الواضح - دار الجيل-مصر-١٩٦٨ - ٢١/٨٤.

(٥) الأحزاب (٢٨-٢٩)

(٦) أنظر القرطبي - الجامع لأحكام القرآن -١٤/١٦٢

إن الله سبحانه وتعالى كرّم نبيّه ومنع من إيذائه حتى من أقرب الناس اليه، وفى هذه الآية أدب عال لبيت النبوة الطاهر وتربية نسائه على العفة والكرامة وحب الله ورسوله، وفى هذه الآية وصف دقيق لما كان عليه بيت النبى ﷺ من الزهد والتقشف وترك مباهج الحياة المترفة التى لو أرادها رسول الله ﷺ لكانت له (١).

بعد أن نهى الله سبحانه وتعالى عن إيذائه وإيذاء رسوله محمد ﷺ، نهى عن إيذاء المؤمنين ورسله الكرام قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾(٢) وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾(٣) نهى الله المؤمنين أن يؤذى بعضهم بعضاً، كما نهاهم أن يؤذوا رسل الله ولا يكونوا كاليهود والنصارى وغيرهم حين آذوا رسله، فقال الله لهم يا أيها المؤمنين لا تؤذوا رسول الله بقول يكرهه منكم ولا بفعل لا يحبه منكم ولا تكونوا أمثال الذين آذوا نبى الله موسى فرموه بعيب كذباً وباطلاً فبرأه الله مما قالوا فيه من الكذب والزور بما أظهر من البرهان على كذبهم وكان عند الله وجيهاً (٤).

عن أبى هريرة* رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن موسى عليه السلام كان رجلاً حيياً ستيراً، لا يرى من جلده شئ إستحياء منه، فآذاه من آذاه من بنى اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده، وإما برص وإما أدره - إنتفاخ الخصية - وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرأه مما قالوا لموسى فخلع يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم إغتسل، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها وإن الحجر بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبى حجر، حتى مر على ملأ من بنى اسرائيل فرأوه أحسن مما خلق الله عريانا، وأبرأه مما يقولون(٥)

---

(١) أنظر محمود حجازى - التفسير الواضح - ٢١/ ٨٤.

(٢) الأحزاب: (٥٨).

(٣) الأحزاب/٦٩

(٤) الطبرى - جامع البيان - ٣٦/٢٢.

(٥) البخارى - كتاب التفسير - باب قوله لا تكون كالذين آذوا موسى - ٣١٢/٦.

* ابو هريرة: عبد الرحمن بن صخر الدوسى اليمانى الحافظ - كان اسمه فى الجاهلية عبد شمس وكناه رسول ﷺ بأبى هريرة روى عنه ثمانمائة نفس أو أكثر توفى سنة ٥٨هـ وقيل غير ذلك - تذكرة الحفاظ - ٣٢/١.

قال الرازى: *** (لم ينفك إيذاء الرسول عن إيذاء الله، فإن من آذى الله فقد آذى الرسول فبين الله للمؤمنين أنكم إن أتيتم بما أمرتكم وصليتم على النبى ﷺ كما صليت عليه، لا ينفك إيذاؤكم عن إيذاء الرسول فيأثم من يؤذيكم لكون إيذائكم إيذاء الرسول، وإيذاء الرسول إيذائى، ولما حصلت الصلاة من الله والملائكة والمؤمنين صار لا ينفك أيذاء أحد منهم عن إيذاء الآخر كما يكون حال الأصدقاء الصادقين فى الصداقة وكذلك إيذاء الرسل ، فالرسل مرتبتهم واحدة فإيذاء أحد منهم إيذاء للآخر).(١)

إن إيذاء الرسول ﷺ الذى هو إيذاء لله سبحانه وتعالى لا يتأتى إلا من الذين لا يؤدون واجباتهم التى أمرهم بها وبينها لهم رسوله ﷺ فالذى يعصى الله فقد آذى رسوله وعصاه لعدم فعل ما أمر به. قال ﷺ :(من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى)(٢).

*** محمد بن عمر الحسين بن الحسن بن على فخر الدين عبد الله القرشى البكرى التيمى الرازى المفسر المتكلم إمام وقته فى العلوم العقلية ولد سنة ٥٤٤هـ وتوفى سنة ٦٠٦ هـ
- طبقات المفسرين (الداودى) ٣١٤/٢.

(١) فخر الدين الرازى - مفاتيح الغيب - ١٩٧/١٣-١٩٨.

(٢) البخارى - كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة - باب الإهتداء بسنن رسول ﷺ حديث رقم ٥٢- ١٦٦/٩-١٦٧.

المبحث الثانى

الصلاة والثناء عليه صلى الله عليه وسلم

قال تعال : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(١)

معنى الصلاة فى اللغة:-

وردت عدة معانٍ لكلمة الصلاة، نذكر منها :-

١- الصلاة : الدعاء (٢).

٢- الصلاة من الله تعالى : الرحمة . وصلاة الله تعالى على رسوله رحمته وحسن ثنائه عليه، والصلاة من الملائكة دعاء واستغفار.

(قال ابن الإعرابى* : (الصلاة من الله رحمة، ومن المخلوقين الملائكة والإنس والجن : القيام والركوع والسجود والدعاء ةالتسبيح، والصلاة من الطير والهوام التسبيح(٣)

قال ابن الجوزى** : الصلاة فى القرآن على عشرة أوجه منها(٤) :-

١- الصلاة الشرعية. كما جاء فى سورة البقرة: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾(٥).

٢- المغفرة : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾(٦).

ومنها قوله : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾(٧). أى إن صلاة الله تعالى المغفرة.

٣- الإستغفار : (صلاة الملائكة) ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ﴾(٨).

٤- الدعاء ومنه فى براءة ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾.(٩)

---

(١) الأحزاب : (٥٦).

(٢) المعجم الوسيط - إخراج ابراهيم انيس وآخرون - دار إحياء التراث العربى - قطر ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م- ص ٥٧٢.

(٣) ابن منظور - لسان العرب- ٧ /٣٩٧.

(٤) نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر - مؤسسة الرسالة - بيروت -ط(٢) ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ص ٣٩٤.

(٥) البقرة (٣)

(٦) الأحزاب : (٥٦)

(٧) الأحزاب : (٤٣).

(٨) الأحزاب : (٥٦).

(٩) التوبة (١٠٣)

وقال يحيى بن سلام * في تفسير الصلاة في هذه الآية: الإستغفار من المخلوقين ومن الله المغفرة. قال تعالى :﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾(١) يعني هو الذي يغفر لكم إذا عصيتموه، وتستغفروا له ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾(٢) يعني مغفرة من ربهم(٣).

معنى الصلاة في الإصطلاح :-

قال مجاهد** صلاة الله عليه ثناؤه عليه عند الملائكة. وصلاة الملائكة عليه الدعاء له.(٤).

وقال ابن قيم الجوزيه *** : (أما صلاته سبحانه وتعالى على عباده فهي نوعان : عامة وخاصة).

أما العامة : فهي صلاته على عباده المؤمنين ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾(٥).

أما صلاته الخاصة على أنبيائه ورسله خصوصاً وخيرهم محمد ﷺ (٦).

سبب نزول الآية:-

عن كعب بن عجزه **** قال : قيل للنبي ﷺ قد عرفنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك فنزلت الآية. (٧)

---

(١) الأحزاب : (٤٣).

(٢) الأحزاب : (٥٦).

(٣) التصاريف - يحى بن سلام - الشركة التونسية - تونس - ص ١٦٦ بدون(ط،ت)- تحقيق هند شلبي .

(٤) مجاهد بن جبر - تفسير مجاهد - مجمع البحوث الإسلامية - إسلام أباد - ٥٢٠/٢ -(بدون ط، ت) تحقيق عبد الرحمن محمد السورتي.

(٥) الأحزاب : (٤٣).

(٦) جلاء الأفهام في الصلاة على خير الآنام - شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعيد - دار الكتب العلمية - بيروت - ط (١) ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م - ص ٧٤.

(٧) على بن أحمد الواحدى - أسباب النزول - مؤسسة الحلبي - القاهرة - ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م - ص ٢٤٣ بدون "ط" .

* يحيى بن سلام ابى ثعلبة ابو زكريا البصرى، قيل أنه أدرك نحو عشرين من التابعين سمع منهم وروى عنهم. كان ثقة ذا علم بالكتاب والسنة واللغة ، توفى سنة ٢٠ هـ - طبقات القراء - ٣٧٣/٢.

أقوال العلماء في تفسير الآية :-

هذه الآية شرف الله بها رسول الله ﷺ في حياته وبعد مماته وذكر منزلته منه. والصلاة من الله رحمته ورضوانه، ومن الملائكة الدعاء والإستغفار، ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره(١) (إن الله جل وعلا يرحم نبيه ويعظم شأنه، ويرفع مقامه، وملائكته الأبرار يدعون للنبي ويستغفرون له ويطلبون من الله أن يمجد عبده ورسوله وينيله أعلى المراتب.) (٢).

(وهذه الآية فيها أعظم دليل على أنه ﷺ مهبط الرحمات وأفضل الخلق على الإطلاق إذ الصلاة من الله على نبيه رحمته المقرونة بالتعظيم، ومن الله على غير النبي مطلق الرحمة، فأنظر الفرق بين الصلاتين والفضل بين المقامين)(٣). كما أن هذه الآية أظهرت الرسول ﷺ وأبانت مكانته عند الله وعند ملائكته، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. والصلاة من الأمة دعاء وتعظيم للنبي ﷺ ولننال بالصلاة عليه شرف ثواب الصلاة عليه ﷺ (٤). لأن ثوابها عظيم وشرفها رفيع.

قال ابن عباس* (يصلون يبركون .. قال يبركون على النبي أي يدعون له بالبركة)(٥).

إن الصلاة على النبي ﷺ والإنقياد لأوامر الله والتسليم عليه ﷺ مما يرفع الدرجات(٦).

---

(١) أنظر القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ٢٣٢/١٤.

(٢) الصابوني - صفوت التفاسير ٥٣٦/٢.

(٣) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين - أحمد الصاوي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٨٧/٣ - بدون "ط،ت".

(٤) محمود حجازي - التفسير الواضح - ٢٤ - ٢٥.

(٥) أحمد بن علي بن حجر - فتح الباري شرح صحيح البخاري - دار الإفتاء والأرشاد والدعوة - جدة - ٥٣٣/٨ بدون "ط، ت".

(٦) أنظر طنطاوي جوهر - الجواهر في تفسير القرآن الكريم - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - ط (٢) ١٣٥٠هـ - ٣٨/١٦.

عن أنس* رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرة صلوات، وحطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات)(١).

ومعنى قوله تعالى ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي: التسليم بأن يقول السلام عليك يا رسول، ومعنى السلام عليك الدعاء له بالسلامة من الآفات والنقائص)(٢) إن الله سبحانه وتعالى شرف المؤمنين بأن قرن صلاتهم بصلاة الله وملائكته وتسليمهم الى تسليمه، فهذه نعمة لا تقابلها نعمة وشرفاً ما بعده شرف بأن وصل الله عباده المؤمنين بالأفق العلوى الكريم (٣). فصلوا عليه أيها المؤمنون وسلموا تسليماً أي أكثروا من الصلاة والتسليم عليه فحقه عليكم عظيم، فكان المنقذ لكم من الضلالة الى الهدى ومخرجكم من الظلمات الى النور)(٤). ويجب علينا نحن أن نصلى على رسول الله ﷺ ونسلم عليه في كل وقت، لكي نوفيه جزءاً من حقه علينا. فإن حقه ﷺ لا نوافيه ولو جعلنا العمر كله نصلى عليه بل نرجو من الله أن يعطيه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة لأنها منزلة عالية كان ﷺ يتمنا دائماً.

قال ابن كثير: (صلاته تعالى(سبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي) والمقصود بهذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه محمد ﷺ عنده في الملأ الأعلى بأن يثني عليه عند الملائكة المقربين. وإن الملائكة تصلى عليه، ثم أمر تعالى أهل العالمين العلوى والسفلى بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوى والسفلى جميعاً(٥). كما أن الله سبحانه وتعالى يصلى على عباده المؤمنين). قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾(٦). وقال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾(٧). قال صاحب كتاب جامع البيان** في معنى الصلاة على العباد:

---

(١) ابي عبد الرحمن بن شعيب النسائي - سنن النسائي - مطبعة البابي وشركاه - مصر - ط"١" ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م - ٤٣/٣.

(٢) الزحيلي - التفسير المنير - ١٩٧/٢٢.

(٣) أنظر سيد قطب - الظلال - ٢٨٧٩/٥.

(٤) الصابوني - صفوت التفاسير - ٥٣٧/٣.

(٥) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ٥٠٧/٣.

(٦) الاحزاب: ٤٣.

(٧) البقرة: ١٥٥ - ١٥٧.

* أنس بن مالك بن النضر بن الإمام ابو حمزه الإنصاري، خادم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان ملازماً له منذ أن هاجر والى أن مات، وكان آخر الصحابة موتاً، مات سنة ٩٣ هـ وقيل غير ذلك - تذكرة الحفاظ ٤٤/١.

** محمد بن جرير الطبري.

قال : (وصلوات الله على عباده، غفرانه لعباده)(١) وقال القرطبي* صلاة الله على عبده : (عفوه ورحمته وبركته وتشريفه أياه فى الدنيا والآخرة)(٢)

صفة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم :-

اختلفت الروايات فى صفة الصلاة على النبى ﷺ نذكر منها ما صح عن النبى ﷺ.

عن ابن أبى ليلى * عن كعب عجرة رضى الله عنه قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة، قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم إنك حميد مجيد.(٣)

عن أبى مسعود الأنصارى**، قال : أتانا رسول الله ﷺ ونحن فى مجلس سعد ابن عبادة* فقال له بشير بن سعد* أمرنا الله تعالى أن نصلى عليك يا رسول الله فكيف نصلى عليك؟. قال: فسكت رسول الله ﷺ ثم قال: قولوا اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على ابراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما علمتم(٤).

عن أبى سعيد الخدرى*** رضى الله عنه قال : قلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليك؟ قال قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم)(٥).

عن أبى ليلى قال : لقينى كعب بن عجره فقال أهدى لك هدية؟ خرج علينا رسول الله ﷺ وقلنا قد عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك؟ قال : (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم إنك حميد مجيد)(٦).

---

(١) الطبرى - جامع البيان -٧/٤٥ ، (٢) القرطبى - أحكام القرآن -٧/١٧٧.

(٣) البخارى - كتاب التفسير باب قوله إن الله وملائكته يصلون على النبى) رقم ٢٩١ - جـ٦/٢١٧.

(٤) مسلم - كتاب الصلاة باب الصلاة على النبى ﷺ بعد التشهد رقم ٤٠٥ - ١/٣٠٥.

(٥) البخارى - كتاب التفسير باب قوله إن الله وملائكته يصلون على النبى رقم ٢٩٢-٢٣/٦

* محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى المالكى أبو عبد الله كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين ، إماما متبحرا فى العلم له تصانيف مفيدة توفى سنة ٦٧١ هـ. طبقات المفسرين -٢/٦٥.

(٦) مسلم - كتاب الصلاة باب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم رقم ٤٠٦ - جـ١/٣٠٦

عن أبي مسعود الأنصاري قال : أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد ابن أبي عبادة، فقال له بشر بن سعد : أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك؟ قال : فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول ﷺ (قولوا اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم).(١).

عن علي * رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ :(من سره أن يكتل بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل : اللهم أجعل صلواتك وبركاتك على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم إنك حميد مجيد)(٢).

عن عبد الله بن مسعود *** قال : إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه. قال فقالوا له :(فعلمنا). قال:(قولوا اللهم اجعل صلاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين، محمد عبدك ورسولك، إمام الخير وقائد الخير، ورسول الرحمة. اللهم أبعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد)(٣).

عن موسى بن طلحه *** قال : سألت زيد بن خارجة *** قال : أنا سألت رسول الله ﷺ فقال : صلوا علي واجتهدوا في الدعاء وقولوا :اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد)(٤).

---

(١) النسائي كتاب الصلاة – باب الصلاة على النبي ﷺ ج ٣/٣٩.

(٢) سنن أبو داوود – كتاب الصلاة – باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد – ١/٦٠.

(٣) ابن ماجه/ ٢٩٣ – ٢٩٤ – كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها – باب الصلاة على ﷺ .

(٤) النسائي – كتاب الصلاة – باب الصلاة على النبي ﷺ – ٣/٤١

عن عقبة بن عامر* قال : (قولوا اللهم صل على محمد النبى الأمى وعلى آل محمد)(١).

قال صاحب الأساس في التفسير: (إن الصلاة الإبراهيمية هى أفضل الصيغ فى الصلاة عليه وعلى آله وسلم أما خارج الصلاة فالصيغ الواردة كثيرة.).

إن صفة الصلاة على النبى ﷺ وصيغها جد كثيرة، ولو تتبعنا هذه الصيغ فى كتب السنة لأنشأنا منها مجلداً ضخماً أو مجلدات كُثر. فعلينا نحن المسلمون أن نصلى على حبيبنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم بما هو أهل له، ذلك الحبيب المصطفى الذى خلق الله نوره من قبل أن يخلق آدم عليه السلام فهو سيد ولد آدم جميعهم فصلى الله عليه وسلم صلاة تليق بمقامه السامى عند ربه تبارك وتعالى الذى قال فيه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(٣) وقال أيضاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾(٤).

فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم :-

إن للصلاة على النبى ﷺ فضل عظيم وشرف رفيع، إذ أنها من أفضل العبادات وأعظم القربات وأشرف الطاعات، ويتبين لنا ذلك بعد ذكر بعض الأحاديث التى تدل على ثواب من يصلى على المجتبى ﷺ فإن الله وعده بالأجر العظيم.

عن أبى هريرة * رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال :

(من صلى على واحدة صلى الله عليه عشراً) (٤).

---

(١) أبو داوود - كتاب الصلاة - باب الصلاة على النبى ﷺ بعد التشهد - رقم ٩٨١ - ١/٦٠١.

(٢) الأنبياء : ١٠٧.

(٣) سبأ : (٢٨)

(٤) مسلم - كتاب باب الصلاة على النبى ﷺ بعد التشهد رقم ٤٠٦-١/٣٠٦.

* عقبة بن عامر بن عبس بن عمر الجهنى يكنى أبا حماد وقيل غير ذلك بايع الرسول ﷺ حيث قدم المدينة، ولاه معاوية مصر وتوفى بها سنة ٥٨ وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن. أسد الغابة - ٣/٥٥٠.

عن أبي طلحة الأنصاري* رضي الله عنه قال : (أصبح رسول الله ﷺ يوماً طيب النفس يرى في وجهه البشر قالوا : يا رسول الله أصبحت اليوم طيب النفس يرى في وجهك البشر قال : أجل آتاني آت من ربي عز وجل فقال من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ورد عليه مثلها).(١)

عن عبد الله بن ابي طلحة** عن أبيه أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبشرى في وجهه، فقلنا: إنا لنرى البشرى في وجهك. فقال :إنه أتاني الملك فقال يا محمد أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشراً، ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشراً)(٢).

عن عاصم بن عبيد الله قال : *** سمعت عبدالله بن ربيعة عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يخطب ويقول : (من صلى على صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي فليقل عبد من ذلك أو ليكثر)(٣).

عن فضاله بن عبيد **** صاحب رسول الله ﷺ قال : (سمع رسول ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يصل على النبي ﷺ قال : عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بعده بما شاء)(٤).

عن أبي بن كعب ***** قال : (كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام فقال : يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة. جاء الموت بما فيه، وجاء الموت بما فيه. قال أبي بن كعب قلت يا رسول، إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل صلاتي؟ قال : ما شئت قلت الربع؟ قال : ما شئت، وإن زدت فهو خير. قال النصف قال ما شئت فان زدت فهو خير قلت الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير. قال إجعل لك صلاتي كلها، قال: إذاً تكفى همك، ويغفر لك ذنبك)(٥).

---

(١) النسائي - كتاب السهو - باب الفضل في الصلاة على النبي ﷺ ٣٨/٣.

(٢) نفس المرجع - نفس الجزء والصفحة.

(٣) ابن ماجه ٢٩٤/١ - أحمد بن حنبل -٤٤٥/٣.

(٤) أبوداود - كتاب الصلاة - باب الدعاء - رقم ١٤٨١/ - ١٦٧/٠.

(٥) الترمذي - كتاب صفة القيامه - باب ماجاء في شأن الحوض - رقم ٢٤٥٧ - ٦٣٦/٤.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ :(لا تجعلوا قبرى عيداً وصلوا عليّ صلاة فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم) (١).

وعن حسين بن على* بن أبي طالب رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ (البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على)(٢).

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول ﷺ (ما جلس قوم مجلساً فلم يذكروا الله ولم يصلوا على نبيه ﷺ إلا كان مجلسهم عليهم ترة** يوم القيامة إن شاء الله عفا عنهم، وإن شاء آخذهم.(٣)

---

(١) ابو داوود - كتاب الحج - باب زيارة القبور رقم ٢٠٤٢- ٢/٥٣٤.

(٣) الحاكم المستدرك - كتاب فضائل القرآن - باب ما جلس قوم يذكرون الله ويصلون على النبي ﷺ - ١/ ٥٥٠

* ترة - نقص

(٢) الترمذى - كتاب الدعوات - باب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (رغم أنف رجل) رقم ٣٥٤٦ - ٥/٥٥١.

حكم الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم :-

اتفق جميع العلماء على وجوب الصلاة على النبى ﷺ فى العمر مرة.

قال القرطبى: (ولا خلاف فى أن الصلاة عليه فرض فى العمر مرة، وفى كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة). (١)

والإمام الشافعى** قال:(إنها تجب فى التشهد الثانى من الصلاة. ومن تركها بطلت صلاته) أورد ذلك فى كتابه الأم.(٢)

خالف الجمهور (٣) الإمام الشافعى وقال:(بعدم وجوب الصلاة على النبى ﷺ

قال الطبرى*** والطحاوى**** (أجمع المتقدمون والمتأخرون على عدم الوجوب.. وقال لم يقل بالوجوب إلا الشافعى وهو مسبوق بالإجماع)(٤).

وقد اتفق العلماء جميعهم على وجوب الصلاة على النبى ﷺ فى العمر مرة.

---

(١) القرطبى - الجامع لأحكام القرآن - ١٤/ ٢٣٧ .

(٢) محمد بن إدريس الشافعى - الأم - دار المعرفة - بيروت - ط (٢) ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م - ١١٧/١ - أشرف على طبعه وتصحيحه محمد زهرى النجار.

(٣) مالك وأبو حنيفة وأصحابه والثورى والأوزاعى و الشوكانى.

(٤) محمد بن على بن محمد الشوكانى - نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار - دار الجيل - بيروت - ١٩٧٣م - ٣٢١/٢ بدون "ط".

** الشافعى محمد بن العباس عثمان بن شافع القرشى الشافعى المكى ولد سنة ١٤٤هـ بغزه، ونشأ فى مكة، كان بارعاً فى الشعر واللغة والفقه والحديث وكان يختم فى رمضان ستين مرة، توفى سنة ٢٠٤هـ - تذكرة الحفاظ -١/٣٦١.

*** محمد بن جرير بن يزيد ابو جعفر، استوطن بغداد رحل فى طلب الحديث سمع بالعراق ومصر وقرأ القرآن ببيروت توفى سنة سنة ٣١ هـ - طبقات المفسرين - ١٠٦/٢.

**** أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدى المصرى الطحاوى الحنفى صاحب التصانيف ولد سنة سنة ٢٣٩هـ، برز فى علم الحديث والفقه وجمع وصنف مات سنة ٣٢١هـ - سير أعلام النبلاء ٢٧/١٥.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شئ، حتى تصلى على نبيك ﷺ) (١)

عن عبد الله بن عمرو بن العاص *، أنه سمع النبي ﷺ يقول :(إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول. ثم صلوا علي. فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً. ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة)(٢)

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (لا تجعلوا قبري عيداً وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم) (٣).

عن أوس بن أوس ** رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فإن صلاتكم معروضة علي، قال : قالوا : يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا وقد أرمت؟ قال : يقولون بليت، قال : إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)(٤).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر الله عليه و لا صلاة لمن لم يصل على نبي الله في صلاته)(٥).

---

(١) الترمذي - كتاب الصلاة - باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ - رقم ٤٨٦ - ٢/ ٣٥٦.

(٢) مسلم - كتاب باب الصلاة - إستحباب القول مثل قول المؤذن - رقم ٣٨٤-

(٣) الترمذي - كتاب الصلاة - باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ رقم ٢٠٤١-١/٤٨٤.

(٤) النسائي-كتاب الجمعة - باب الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة-٣/٧٥.

(٥) الحاكم - كتاب الصلاة باب صيغ الصلاة بعد التشهد - ١/٢٦٩.

الفصـــل الثانى

العلاقات الاجتماعية الأسرية السليمة

المبحث الأول

آداب الزيارة والاستئذان

المبحث الثانى

الحجاب

المبحث الأول: آداب الزيارة والإستئذان

أدب المولى تبارك وتعالى عباده المؤمنين بآداب جليلة تحمل فوائد عظيمة، وأرشدهم الى فعل كل ما هو خير لدنياهم وآخراهم، فيجب عليهم التخلق بها لما فيها من الحكم والمزايا الكريمة ليتمتع بها أفراد المجتمع الإسلامى.

وأمر الله المؤمنين بالتأدب مع النبى ﷺ والتعامل معه فى جميع مناحى الحياة، كما أمرهم بالتأدب مع بعضهم البعض، فالآداب التى ذكرها الله تعالى فى كتابه العزيز جد كثيرة، لو إلتزم بها كل المسلمين لسار أفراده على نهج سليم وعاش الكل فى وئام وطمأنينة.

(ومن الآداب التى سنها: الإستئذان والتحية، وهما اليوم من الخلال الحميدة التى تعد من مميزات أهل المدينة فتراهم يحرصون عليها، ولا يتسامحون فيها، والإسلام قدسنها لأهله منذ أجيال كثيرة)(١).

والإسلام الذى استوفى جميع مقومات الأجساد والأرواح لم يغفل الآداب التى يجب أن يسيرعليها أتباعه خوفاً، حقها من الرعاية التى تنم عن كمال فى الذوق والشعور، تلك الآداب التى تجعل الإنسان آمناً فى بيته مطمئناً، لهذا يتناول البحث هذه الجزئية من جملة الآداب التى نص الله عليها فى كتابه العزيز.

أدب الزيارة والإستئذان عند دخول البيوت:-

أمر الله تعالى المؤمنين بالإستئذان عند إرادة الدخول الى بيوت الناس.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٢)

(١) عفيف عبد الفتاح طباره – روح الدين الإسلامى – دار العلم – بيروت ط٢٣ ١٩٨٢م ص ٢٤

(٢) النور: ٢٧.

معنى تستأنسوا :-

تستأنسوا فى اللغة تستأذنوا، وكذلك فى التفسير والإستئذان الإستعلام، تقول آذنته بكذا أى أعلمته ، حتى تستأنسوا حتى تستعلموا أيريد أهلها أن تدخلوا أم لا. (١)

قال الفقيه القاضى أبو بكر رحمة الله : أما قوله تستأنسوا فلا مانع فى أن يعبر عن الإستئذان، الإستئناس لأنه مثله فى معنى الإستعلام(٢).

والمراد (بستأنسوا) الإستئذان للدخول وإنما سمى الإستئناس لأنهم إذا إستأذنوا أو سلموا أنس أهل البيت بذلك ولو دخلوا عليهم بغير إذن لإستوحشوا وشق عليهم.) (٣)

إختص الله سبحانه وتعالى ابن آدم بالكرامة وفضله على كثير من خلقه، قال تعالى﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(٤) وكان فضله عز وجل علينا بمنازل تسترنا وتحجبنا عن الأنظار، وقد ملكنا الله سبحانه وتعالى هذه المنازل لكى نستمتع بها، ومنع الخلق فى أن أن يطلعوا على ما فيها من غير إذن من أربابها لكى لا يطلع أحد منهم على عورات أهل البيت(٥) وقد حذر الرسول ﷺ من الدخول فى تلك البيوت إلا بإذن ولا ينظر أى فرد منهم الى شيئ داخله إلا بعد أن يؤذن له بالدخول لحديث رسول ﷺ الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال: (من اطلع فى بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقئوا عينه) وقال أيضاً:(لو أن رجلاً اطلع عليك بغير إذنه فحذفته بحصاة ففقأت عينه، ما كان عليك من جناح)(٦).

وأمرنا بالتلطف عند طلب الإستئذان لأن ذلك مما يدعو الى المحبة والوئام. وينهانا عن الدخول بغير إذن، وإذا لم يؤذن لنا فعلينا بالرجوع، لاحتمال أن ذلك الشخص له أشياء لا يريد أن يطلع عليها كل الناس. فيجب على كل شخص إذا لم يؤذن له بالدخول أن يرجع من غير أن يكون فى نفسه شئ تجاه ذلك الشخص لأن القرآن الكريم أمرنا إذا لم يؤذن لنا فذلك خير له من الوقوف على الأبواب والاثقال على اهل المنزل بالرجوع قال تعالى : ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾(٧).

---

(١) محمد على الصابونى - روائع البيان ١٢٨/٢.

(٢) أنظر ابن العربى - آيات الأحكام ١٣٥٩/٣.

(٣) ابوبكر أحمد بن على الرازى الجصاص - أحكام القرآن - دار الفكر - بيروت - بدون (ط.ت) ٣٠٩/٣-٣١٠.

(٤) الإسراء : ٧٠. (٥) أنظر القرطبى - الجامع لأحكام القرآن - ٢١٢/٢٢

(٦) مسلم - كتاب الأدب - باب تحريم النظر فى بيت غيره - حديث رقم ٢٥١٨ - ١٢٨/٣.

(٧) النور: ٢٨.

السنة في الاستئذان :- الإستئذان عبادة وهو واجب على كل مسلم ، فالإستئذان ثلاثاً وإلا فعلى الشخص أن يرجع من غير عذر هذا هو أمر الله سبحانه وتعالى الذى أمر به عباده المسلمين ونفذه الصحابة على أتم وجه. وهذا أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه يستأذن على عمر بن الخطاب ثلاثاً حين أمره بالحضور اليه فلم يأذن له عمر فرجع.

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كنت فى مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال إستأذنت على عمر ثلاث فلم يؤذن لى فرجعت فقال ما منعك قلت: أستأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لى فرجعت وقال رسول الله ﷺ: إذا استأذن أحدكم ثلاث فلم يؤذن له فليرجع فقال: والله لتقيمن عليه بينة أمنكم أحد سمعه من النبى ﷺ فقال ابى بن كعب والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم فكنت أصغر القوم فقمت معه فأخبرت عمر أن النبى ﷺ قال ذلك) (١)

(إن الله سبحانه وتعالى جعل البيوت سكناً يفئ اليها الناس فتسكن أرواحهم وتطمئن نفوسهم، ويأمنون على عوراتهم وحرماتهم، ويلقون أعباء الحذر والحرص المرهقة للأعصاب. والبيوت لا تكون كذلك إلا حين تكون حرماً آمناً لا يبيحه أحد إلا بعلم أهله وإذنهم، وفى الوقت الذى يريدون وعلى الحالة التى يكونون أن يلقوا عليها الناس. ذلك الى أن إستباحة حرمة البيت من الداخلين دون استئذان يجعل أعينهم تقع على عورات أهل ذلك البيت. كما كان فى الجاهلية، فقد كانوا يهجمون هجوماً على الناس فيدخل الزائر البيت وكان يتوقع أن يكون صاحب البيت مع أهله فى الحالة التى لا يجوز أن يراهما عليها أحد. وكان ذلك يؤذى ويجرح ويحرم البيوت أمنها وسكينتها) (٢)

(١) متفق عليه - البخارى كتاب الإستئذان - باب التسليم والإستئذان ثلاثاً - مسلم ٣/ ١٦٩٤ كتاب الآداب باب الإستئذان.

(٢) سيد قطب - الظلال - ٥/٨٧ .

هذا أدب الإسلام الذي أدب به عباده المؤمنين لم يترك أدنى صغيرة تهذب للأمة أخلاقها إلا وحث عليها، وجعل الإنسان مكرماً محترماً في التعامل مع أخاه المسلم(١). قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(٢)

ثانياً : أدب دخول بيت النبي صلى الله عليه وسلم :-

قال تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾(٣)

سبب نزول الآية :-

وردت عدة روايات في السبب الذي نزلت فيه الآية نذكر منها :-

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون قال: يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام فلما قام من قام وقعد ثلاثة وأن النبي ﷺ جاء ليدخل فإذا القوم جلوس ثم إنهم قاموا فإنطلقوا فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا قال : (فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله الآية : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ..﴾ الآية(٤).

---

(١) سيد قطب - الظلال - ٨٨/٥ .

(٢) الإسراء : ٧٠.

(٣) الأحزاب : ٥٣

(٤) مسلم - كتاب النكاح - باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب - حديث رقم ٩٢ ١٠٥٠/٢.

قال أنس بن مالك: أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب (لما أهديت زينب بنت جحش رضي الله عنها الى رسول الله ﷺ كانت معه في البيت صنع طعاماً ودعا القوم فقعدوا يتحدثون فأنزل الله تعالى :﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه الى قوله من وراء حجاب﴾ فضرب الحجاب وقام القوم. (١)

قال ابن عباس (كان ناس من المؤمنين يتحينون طعام النبي ﷺ فيدخلون قبل أن يدرك الطعام، ويقعدون الى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون فنزلت الآية.

---

(١) البخاري - كتاب التفسير باب (ولا تدخلوا بيوت النبي) ٦/٢٥.

(٤) أنظر ابن العربي - مرجع سابق - ج٣/١٣٥٩.

الآداب التي تضمنتها الآية :-

فالآية تتضمن آداباً لم تكن تعرفها الجاهلية في دخول البيوت حتى بيت رسول الله ﷺ كما إن هذا البيت لم يسلم منهم بل دخلوا فيه بغير إذنه، ودخلوا فيه وأطالوا المكث به حتى أنزل الله فيهم قرآناً يتلى على مر العصور. فقد كانوا يدخلون البيوت بلا إذن من أصحابها. وربما كان هذا الحال أظهر في بيوت النبي ﷺ بعد أن أصبحت هذه البيوت مهبط العلم والرحمة(١)

كما إن هذه الآية إرشاد من الله سبحانه وتعالى لهذه الآمة وبيان حالهم مع النبي ﷺ. ومن الآداب التي إشتملت عليها :-

١- عدم دخول بيت النبي صلى الله عليه وسلم إلا بإذن :-

لهذا (حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله ﷺ بغير إذن كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام حتى غار الله لهذه الأمة فأمرهم بالإستئذان وذلك من إكرامه تعالى لهذه الأمة ولهذا الرسول ﷺ(٢)

قال الطبري في تفسيره لهذه الآية: (يقول تعالى ذكره لأصحاب رسول الله ﷺ لا تدخلوا بيوت نبي الله إلا أن تدعوا الى طعام تطعمونه غير ناظرين إناه يعني غير منتظرين إدراكه وبلوغه ولكن إذا دعاكم رسول الله ﷺ فادخلوا البيت الذي أذن لكم بدخوله فإذا أُكلتم الذي دُعيتُم لأكله فتفرقوا واخرجوا من منزله، و لا متحدثين بعد فراغكم من أكل الطعام إيناساً من بعضكم لبعض.)(٣).

---

(١) ابو بكر أحمد بن علي الرازي - الجصاص - أحكام القرآن - دار الفكر - بيروت - بدون ط، ت ٣٠٩/٣-٣١٠.

(٢) أنظر سيد قطب - الظلال - ٢٨٧٧/٥.

(٣) الطبري - جامع البيان - ١١/ ٢٦، ٢٧.

وكانت سيرة القوم إذا كان لهم طعام وليمة أو نحوه أن يتكير من شاء الى دار الدعوة، ينتظر طبخ الطعام ونضجه. وكذلك إذا إنتهوا منه جلسوا كذلك، فنهى الله تعالى المؤمنين عن فعل ذلك فى بيت النبى ﷺ ودخل فى النهى سائر المؤمنين والتزم الناس أدب الله لهم فى ذلك فمنعهم من الدخول إلا بإذن عند الأكل، لا قبله لانتظار نضج الطعام، ولا بعده للحديث والأنس والسمر.(١).

إن ما نهى الله عنه فى بيت النبى ﷺ يجب العمل به فى جميع بيوت المسلمين، لأن لله تعالى بعث النبى ﷺ معلماً، وهو القدوة الحسنة الذى نستقى منه تعاليمنا، فبيت النبى ﷺ هو بيت كل مسلم ويجب على كل مسلم أن يفعل ما أمر الله به رسوله الكريم لأنه هادينا الى الطريق الذى نسير عليه فى حياتنا كلها. فينبغى لكل مسلم ألا يأتى الى الدعوة إلا بإذن من صاحب الوليمة ، كما يجب على المسلم إجابة الدعوة. (عن البراء رضى الله عنه قال: أمرنا النبى ﷺ بسبع ونهانا عن سبع أمرنا بعيادة المريض وإتباع الجنازة وتشميت العاطس وإجابة الداعى ورد السلام ونصرة المظلوم وإبرار المقسم)(٢).

يجب على المسلم بعد الفراغ مما دعى اليه أن يذهب من مكان الوليمة، ولا يتخذ تلك المجالس للسمر والحديث مع من لقيه فى تلك الدار، فيجب على المسلمين ألا يتخذوا تلك الأماكن للحديث لأن ذلك يؤذى صاحب المنزل، وربما يتحرج من هؤلاء الأشخاص بأن يقول لهم إنى أريد أن أعمل كذا وكذا وربما كانوا أصدقاء حميمين له فيستحى منهم ويتأذى بمكثهم الطويل عنده.

٣- عدم الجلوس بعد الدعوة :-

وردت هذه الآية جامعة مانعة لعدم إطالة المكث والجلوس بعد الدعوة وذلك فى أن البيت موضع إختاره الشخص لعبادته وإشتغاله بشغل فهو موضع سكنه وراحته. ثم بين كون أن النبى ﷺ حليماً بقوله تعالى ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾(٣) إشارة الى أن ذلك حق وأدب وقوله كان إشارة الى تحمل النبى ﷺ.

---

(١) ابن عطية - المحرر الوحيد - ١٢ / ١٠٣.

(٢) البخارى - ١٢٤/٧٠ - كتاب الأدب باب - تشميت العاطس إذا حمد الله.

(٣) الأحزاب : ٥٣.

وجاءت هذه الآية تعلم الناس ألا يدخلوا بيوت النبى ﷺ بغير إذن، فإذا دعوا إلى الطعام دخلوا، وألا فلا يدخلوا يتوقعون نضجه ثم إذا طعموا خرجوا ولا يجلسوا بعد تناول الطعام للسمر والأخذ بأطراف الحديث.

فما أحوج المسلمين اليوم إلى هذه الآداب التى يجافيها الكثيرون. فإن المدعوين الى الطعام يتخلفون بعده بل يتحلقون حول المائدة ويطول بهم الحديث.. وأهل البيت متأذون من ذلك بل صابرون، والأضياف ماضون فى حديثهم وسمرهم لا يشعرون. وفى الأدب الإسلامى غناء وكفاء لكل ما لو كنا نأخذ بهذا الأدب الآلهى القويم.(١)

إن ذلك الإنتظار والإستئناس للحديث كان يؤذى النبى ﷺ لأنهم يتحدثون بحديث لا طائل منه وكانوا يضيقون عليه المنزل وعلى أهله لأنه ربما كان يريد قضاء بعض شئون حياته الطبيعية فى بيته.

قال الزجاج* :(كان النبى ﷺ يحتمل اطالتهم كرماً منه فيصبر على الأذى فى ذلك، فعلم الله من يحضره الأدب فصار أدباً لهم ولمن بعدهم.)(٢)

فقيل يا هؤلاء المتحينون لطعام رسول الله ﷺ منتظرين إدراكه وقت الأذن وبعد الدخول لا تجلسوا مستأنسين للحديث لأن ذلك مما يؤذى النبى ﷺ لأنه يكون له عن قضاء بعض أوطاره مع ما فيه من تضييق المنزل عليه ﷺ وعلى أهله فيستحى من إخراجكم(٣).

وفى هذه الآية إشارة الى أن للدعوة حيناً ووقتاً يجب أن يراعى زمنه، وهذا لم يزل يرتكبه ثقلاء القرويين ومن شاكلهم من غلظاء المدنيين الذين لم يتأدبوا بآداب الكتاب الكريم والسنة المطهرة. وهو أنهم إذا دعوا لتناول طعام يتعجلون المجئ.(٤)

---

(١) سيد قطب - الظلال - ٥/٢٨٧٧ - ٢٨٧٨.

(٢) الزجاج - إعراب القرآن - ٤/٢٣٥.

(٣) أنظر الألوسى - روح المعانى - ٢٢ - /٧١.

(٤) القاسمى - محاسن التأويل - ٣/٢٩٢.

* الزجاج ابراهيم محمد السرى الزجاج البغدادى نحوى زمانه له تأليف جمة أخذ عنه ابو على الفارسى وجماعة - سير الأعلام النبلاء - ١٤/٤٣

قال الصابونى: إن صنيعكم هذا أى دخولكم منزله ﷺ بغير إذنه كان يشق عليه ويتأذى منه، ولكن يمنعه حياؤه أن يأمركم بالإنصراف لخلقه الرفيع وقلبه الرحيم، والله جل وعلا لا يترك بيان الحق ولا يمنعه مانع من إظهار الحق وبيانه لكم (١). ولما كان الحياء مما يمنع الحى من بعض الأفعال قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ بمعنى أنه لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحى منكم، وهذا أدب أدب الله به الثقلاء. وعن عائشة رضى الله عنها قالت: (حسبك فى الثقلاء أن الله لم يحتملهم)(٢).

أدب الله عز وجل الثقلاء فأحسن أدبهم، وهذا الأدب وجهنا الى فعل كل ما لا يؤذى الغير ولا يتضرر منه أحد، فأنت الذى جلست بعد فراغك من الأكل أليس لك حاجة تريد إصلاحها فى بيتك؟ ألم يكن لك أسرة تحب أن تتحدث معها وتسامرها؟ إن أبناءك وإخوانك وعشيرتك يريدون أن تكون بينهم فهم أحق بذلك من أى شخص تسامره فى مكان ليس ملك لك، ولا يحق لك أن تتبادل فيه أطراف الحديث مع من لقيت. وهذا للأسف ما نشاهده اليوم فى حياتنا أكثر. فإن المدعوين الى الوليمة ينتهزون منها فرصاً للتعارف ولتلاقى الأصدقاء، وبعد الفراغ من الأكل ينسون أنفسهم إنهم فى بيت غير بيتهم، ويكثر الحديث والكلام فيها بما لا يفيد ولا ينفع. فيجب على كل مسلم أن يلتزم بأدب الكتاب والسنة الذى ما ترك صغيرة ولا كبيرة إلا بينها على أوضح وجه وأتم بيان.

---

(١) أنظر الصابونى - روائع البيان - ٢/٥٣٥.

(٢) الزمخشرى - الكشاف - ٣/ ٢٧١.

المبحث الثانى

الحجاب

تعريف الحجاب وأدلته:-

معنى الحجاب فى اللغة :-

الحجاب لغة الستر، وامرأة محجوبة أى سترت بستر والحجاب اسم لما احتجب به، فهو كل ما حال بين شيئين. والحجاب معناه الستر المرخى على باب البيت، فهذا الستر يحجب عن النظر.(١)

معنى الحجاب إصطلاحاً :-

اتفق جميع علماء التفسير بأن الحجاب هو الستر قال الطبرى فى معنى كلمة (الحجاب) : (من وراء ستر بينكم وبينهن ولا تدخلوا عليهن بيوتهن.(٢)

وقال البقاعى* : (الحجاب) ستر يستركم عنهن ويسترهن عنكم)(٣).

إن الحجاب فريضة من الفرائض أنزلها الله عز وجل فى محكم تنزيله. وهو فرض فرضه الله تبارك وتعالى على أمهات المؤمنين وعلى جميع نساء المسلمين، فهو كفرض الصلاة والصيام والزكاة وغيرها من الفرائض التى افترضها الله على عبادة المسلمين ويجب على النساء المسلمات الإلتزام بها لأن بها صيانة للمرأة من الفساد وصيانة للمجتمع.

على المرأة المسلمة إذا بلغت المحيض أن ترتدى الزى الإسلامى الساتر المحتشم الذى يوارى جميع جسدها. عن عائشة رضى الله عنها قالت : (إن أسماء

---

(١) ابن منظور - لسان العرب - مادة حجب - ج٣/ ٥٠ .

(٢) جامع البيان - ١٠/ ٣٢٥ .

(٣) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور - ١٥/ ٣٩٢ .

* الإمام المفسر برهان الدين ابى الحسن ابراهيم بن عمر البقاعى المتوفى سنة ٨٨٥هـ .

بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله ﷺ ، وقال : (يا أسماء أن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار الى وجهه وكفيه).(١)

فعلى المرأة المسلمة أن تلبس الزى الساتر المحتشم الذى شرحته سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم بعد أن أنزله الله تبارك وتعالى في محكم تنزيله، ويجب على المرأة أن تلتزم به إلتزاماً كاملاً وأن تتمسك بهذا الأدب الإجتماعى الذى يصون لها عفتها وكرامتها ويحميها من كل سوء ويحفظها من النظرات اللاسعة التى تتلقاها من أصحاب النفوس المريضة، ولحمايتها من هؤلاء أعليها الإلتزام بهذا النهج الربانى الذى رسمه الله تعالى لها فى الخروج من بيتها فى حشمة ووقار.(٢)

الأدلة الواردة فى الحجاب:

أولاً: الأدلة من الكتاب العزيز :-

وردت عدد من الآيات فى كتاب الله المجيد تذكر الحجاب الإسلامى وتوضح أحكامه، وذلك فى سورتين من القرآن الكريم. فى سورة النور وسورة الأحزاب التى هى موضوع البحث الذى بين أيدينا.

الآيات الواردة فى سورة النور :-

يقول الله عز وجل فى محكم تنزيله : ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ

أو بني أخواتهن

(١) سنن أبو داوود - كتاب اللباس باب فيما تبدى المرأة من زينتها حديث رقم ٤١٠٤ - ج ٤/ ٣٥٨.

(٢) ينظر محمد على الصابونى - روائع البيان فى تفسير آيات الأحكام من القرآن - ٣٧٦/٢.

مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوَاْ إِلَى اللّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١).

ثانياً : الآيات الواردة في سورة الأحزاب :-

١- قوله تبارك وتعالى ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً* وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾(٢).

هاتان الآياتان من سورة الأحزاب هما اللاتي بدأتا أحكام الحجاب في الإسلام. وإن كان الخطاب فيها موجهاً لنساء النبي ﷺ، لكنه في الحقيقة خطاب عام لجميع نساء المسلمين. والغرض من جعل الخطاب فيها لنساء النبي ﷺ لأنهن القدوة الحسنة فلا بد أن تتأسى به وتحذو حذوه سائر نساء المسلمين، فهن النموذج الطاهر للحياة، لنزول الوحي عليهن، لهذا جعل الله الخطاب لهن أولاً وسائر النساء تبع لهن (٣).

٢- قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُواْ وَلاَ مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ اللّهِ وَلاَ أَن تَنكِحُوَاْ أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللّهِ عَظِيماً﴾(٤).

---

(١) سورة النور : ٣١.

(٢) الأحزاب : ٣٢، ٣٣.

(٣) أنظر أبو الأعلى المودودي - كتاب تفسير آيات الحجاب - مكتبة الأنصار - الرياض - ط ٢٠-١٤٠٤هـ ص ١٣.

(٤) الأحزاب : ٥٣.

٣- قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾(١).

سبب نزول الآيات :-

ذكر أهل العلم عدة روايات في أسباب نزول آيات الحجاب نذكر بعضاً منها :-

أ) عن أنس بن مالك قال عمر رضي الله عنه : قلت :(يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب).(٢)

ب) عن أنس بن مالك قال : (خدمت رسول الله ﷺ عشر حياته وكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أُنزِل وقد كان أبي بن كعب يسألني وكان أول ما نزل في مبتنى* زينب ابنة جحش أصبح النبي ﷺ بها عروساً فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي منهم رهط عند رسول الله ﷺ فأطالوا المكث فقام رسول الله ﷺ فخرج وخرجت معه كي يخرجوا فمشى رسول الله ﷺ ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن رسول ﷺ أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يتفرقوا فرجع رسول الله ﷺ ورجعت معه حتى بلغ عتبة حجرة عائشة فظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا فأنزلت آية الحجاب فضرب بيني وبينه ستراً) (٣).

---

(١) الأحزاب : ٥٩.

(٢) البخاري - كتاب التفسير - باب قوله تعالى (لا تدخلوا بيوت النبي) رقم ٢٨٤ - ٢١٣/٢.

* زفاف. (الدخول بالزوجة) - ابن الأثير - النهاية في غريب الحديث ... ١ / ١٥٨ -

(٣) متفق عليه : البخاري - كتاب الإستئذان - باب آية الحجاب - رقم ١١ - ٩٦/٨ - مسلم - كتاب النكاح - باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب رقم ١٤٢٨ - ٢/ ١٠٥٠.

٢- عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت (كنت عند رسول ﷺ وعنده ميمونة*، فأقبل ابن أم مكتوم**، وكان رجلاً أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا، فقال النبي ﷺ :(احتجبنا منه) فقلنا يا رسول الله : (أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال النبي ﷺ: (أفعمياوات أنتما؟ ألستما تبصرانه؟)(١)

٣- عن أم عطية*** رضي الله عنها قالت :(أمرنا رسول ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى : العواتق والحيض وذوات الخدور، فأما الحُيَّض فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخير ودعوة المسلمين، قلت يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب، قال لتلبسها أختها من جلبابها)(٢).

٤- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر اليها)(٣).

٥- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال : رسول الله ﷺ (من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة)، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: (فكيف يصنع النساء بذيولهن ؟ قال :(يرخين شبراً)، فقالت : إذاً تنكشف أقدامهن، قال: (فيرخينه ذراعاً لا يزدن عليه)(٤).

هذا الحديث دليل على مشروعية احتجاب النساء من الرجال الأجانب وأنه ليس للرجال سبيل الى معرفة الأجنبيات من النساء.(٥).

---

(١) الترمذي - كتاب الأدب باب ما جاء في احتجاب النساء من الرجال - رقم ٢٧٧٨ - ج ٥/ ١٠٢ وقال حديث حسن صحيح.

(٢) البخاري كتاب العيدين باب إذا لم يكن لها جلباب في العيد - رقم ٢٧ - ج ٢/ ٦٥ ومسلم كتاب صلاة العيدين باب ذكر خروج النساء للعيدين- رقم ١٤٠٦/ ٢٠

(٣) البخاري كتاب النكاح - باب لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها - رقم ١٦٩ - ج ٤/ ٦٩.

(٤) الترمذي: كتاب اللباس باب ما جاء في جر ذيول النساء رقم ١٧٣١ - ج ٤/ ٢٢٣ وقاله عنه حديث حسن صحيح.

* نسيبة بنت الحارث أم عطية الأنصارية شهدت المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وهي التي غسلت بنت النبي ﷺ.

(٥) عبد العزيز بن عبد الله بن باز - الحجاب والسفور في الكتاب والسنة دار ابن زيدون - بيروت - ط (١) ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ص ١١٧.

* ميمونة بنت الحارث الهلالية، زوج النبي ﷺ وكان اسمها برة تزوجها الرسول ﷺ سنة ٧ هـ سنة عمرة القضاء، توفيت سنة ٥١هـ وقيل سنة ٦٣هـ - أسد الغابة ٦/ ٢٧٢.

** عبد الله بن مكتوم يقال اسمه عمرو وهو بن قيس بن زائدة بن الأصم كان يستخلفه النبي ﷺ في غزواته يصلي بالناس، توفي شهيداً بالقادسية وقيل مات بعد هزيمة القادسية بالمدينة - الإصابة ٧/ ٨٣.

٦- عن أنس بن مالك قال: كنت عند النبى ﷺ فأتى باب إمرأة عرس بها فإذا عندها قوم فانطلق فقضى حاجته واحتبس فرجع وقد خرجوا فقال: فدخل وأرخى بيننا ستراً، قال : فذكرته لأبى طلحة قال: فقال: (لئن كان ما تقول لينزلن فى هذا شئ فنزلت آية الحجاب) (١).

٧- عن عائشة* رضى الله عنها قالت :(يرحم الله نساء المهاجرات الأُول لما أنزل الله (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) شققن مروطهن** فاختمرن بها) (٢).

٨- عن أم سلمة رضى الله عنها، قالت : لما نزلت(يدنين عليهن من جلابيبهن) خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من الأكسية) (٣).

الجلباب فى اللغة :-

الجلباب ثوب أوسع من الخمار، والخمار ما تغطى به المرأة رأسها، والجلباب دون الرداء تغطى به المرأة رأسها وصدرها، وهو ثوب واسع دون الملفحة تلبسه المرأة، وقيل هو الملاءة التى تشتمل بها.(٤)

---

(١)الترمذى - كتاب التفسير - باب سورة الأحزاب - رقم ٣٢٠٧ ج /٣٥٦ .

(٢) البخارى - كتاب التفسير - باب قوله (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) رقم ٢٧٩ - ج ٤/ ١٩٨.

(٣) أبو داؤد - كتاب اللباس - باب قوله (يدنين عليهن من جلاليبهن) رقم ٤١٠١ - ج ٣٥٧/٤.

(٤) ينظر ابن منظور - لسان العرب - مادة جلب - ٢١٣/٢، ٢١٧.

* عائشة بنت أبى بكر الصديق التيمية أم المؤمنين تكنى أم عبد الله الفقيهة أمها أم رومان بنت عامر روت عن النبى ﷺ كثيراً وعن أبيها وعمر وغيرهم من الصحابة. ماتت سنة ٥٧ - تهذيب التهذيب ٤٦١/١٢.

** الإزار.

الجلباب اصطلاحاً :-

قال ابن عباس وابن مسعود :(أن الجلباب هو الرداء وقيل القناع، والصحيح أنه الثوب الذى يستر جميع البدن(١) وفى الحديث أن أم عطية قالت : قلت:(يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب)؟ قال :(لتلبسها أختها من جلبابها)(٢)

معنى التبرج فى اللغة :-

تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه وأصله الخروج من البرج وهو القصر، ثم استعمل فى خروج المرأة عن الحشمة.(٣).

(والتبرج هو أن يبرزن محاسنهن فيظهرنها) (٤).

التبرج اصطلاحاً :-

ذكر علماء التفسير أن كلمة التبرج إذا استعملت للمرأة كانت لها عدة معانى نلخص منها هذه المعانى:-

١- التبرج هو المشى بتكسر وتغنج.

٢- أن تلقى المرأة خمارها على رأسها لا تشده فيوارى قلائدها وقرطها وعنقها.(٥).

٣- قال ابن كثير : قال مجاهد: (كانت المرأة تخرج تمشى بين الرجال فهذا هو تبرج الجاهلية.(٦).

---

(١) القرطبى - الجامع لأحكام القرآن - ١٣/ ٢٢٣.

(٢) سبق تخريجه. ص (٥٢).

(٣) اسماعيل بن حامد الجوهرى الصحاح - دار العلم للملايين - بيروت ط "٣" ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ٢٩٩/١ تحقيق أحمد عبد الغفور.

(٤) ابو عبيدة معمر بن المثنى التيمى - مجاز القرآن - مكتبة الخانجى - مصر بدون (طبعه وتاريخ - ١٣٨/٢.

(٥) أبو الأعلى المودودى - تفسير آيات الحجاب - ص ١٩.

(٦) تفسير القرآن العظيم - ج ٣/ ٦٣٧.

أقوال العلماء فى آيات الحجاب :-

الآيات الواردة فى سورة الأحزاب عن الحجاب ذكرت مقدمات توجه نساء النبى ﷺ ، وهن متأدبات بأخلاق زوجهن وحبيبهن المصطفى محمد ﷺ ، وهذا أمر من الله سبحانه وتعالى، أدب به نساء النبى ﷺ ونساء المؤمنين، وورد الخطاب فى تقرير هذا الأدب بقوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ﴾(١)، فنساء النبى ﷺ فى قمة النساء المؤمنات لا يشبههن أحد من النساء ولا يلحقهن أحد فى الفضيلة والمنزلة، لهذا أمرهن الله عز وجل ألا يرققن الكلام إذا خاطبهن الرجال، ولا يتكلمن بصوت فيه ليونة وعذوبة تثير طمع الرجال ، وأمرهن الله جل وعلا أن يقلن قولاً معروفاً بالخير خالياً من نبرات الخضوع فى القول.

قال ابن كثير فى معنى هى الجزئية من الآية : (أن تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم،أى لا تخاطب الأجانب بما تخاطب به زوجها، وأمرهن بلزوم البيوت فلا يخرجن منها لغير حاجة من الحوائج الشرعية.(٢).

---

(١) الأحزاب : ٣٢.

(٢) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ٣/ ٦٣٦.

لهذا يجب على النساء إذا خاطبهن الرجال(أن يكون قولهن جزلاً وكلامهن فصلاً، وأن لا يكون على وجه يحدث فى القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين فى المطمع للسامع، فأُخذ عليهن أن يكون قولهن معروفاً)(١).

يصرح الله سبحانه وتعالى فى أن الخضوع فى اللهجة، والليونة فى النبرات، والرخاوة فى الحديث، والنعومة فى الصوت تثير شهوات الرجال وتشجعهم على أن يخطوا الى أغراض أخرى وراء حديث هؤلاء المتصنعات فى الحديث. إن مثل هذا الأسلوب فى مخاطبة الرجال لا يليق بامرأة مؤمنة تتقى الله ورسوله وفى قلبها عاطفة لاجتناب معصيته، إن هذا الأسلوب لا يتأتى إلا من امرأة غير مؤمنةوقانتةوطائعة لأمر الله عز وجل، الذى أنزله على لسان نبيه محمدﷺ (٢).

أمر الله سبحانه وتعالى نساء النبىﷺ بالسكن والمكث فى البيوت فلا يخرجن من البيوت بغير حاجة ماسة، وهذا الأمر لهن بلزوم البيوت إنما هو إرشاد لهن بالتحلية بالرغائب والتخلى عن الشوائب، لهذا أمرهن بأداء الفرائض التى منها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله، ذاكرات لله صفات الكمالوولرسوله فى جميع ما يأمر به(٣).

---

(١) ابن العربى - أحكام القرآن ٣/ ٦٣٦.

(٢) أنظر أبو الأعلى المورودى - ص ١٥.

(٣) أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى - معالم التنزيل - دار طيبة - الرياض - ١٤١١هـ - بدون "ط" تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرون.

كانت بداية الآية السابقة مقدمات لإنزال حكم الحجاب على نساء النبيﷺ ونساء الأمة.

بدأ الله سبحانه وتعالى الأمر بنساء النبيﷺ لأنهن أهل بيت الرسول ﷺ وخاصته، فهن أولى فى أن ينزل التشريع عليهن أولاً، كما أنهن يطبقنه خير تطبيق، وكما أراد الله عز وجل. فورود الخطاب فى بادئ الأمر لنساء النبيﷺ لحكمة يعلمها عز وجل.

بعد أن ورد الخطاب لنساء النبيﷺ والتزمن به جاء الخطاب لنساء المسلمين، فنساء الأمة تبع لنسائهﷺ وهن مقتديات بهن لأنهن قدوة حسنة يجب على المسلمات السير على نهجهن.

إن الخطاب إن جاء لنساء النبيﷺ خاصة فهو خطاب لجميع النساء. لذلك أنزل الله سبحانه وتعالى الآيات مخاطبة لهن جميعاً.

بعد أن نهى الله المؤمنات عن النبرة اللينة واللهجة الخاضعة نهاهن الله تبارك وتعالى عن التبرج الذى هو من شيم الجاهلية الذى قال فيه صاحب التحرير والتنوير* :(التبرج هو إظهار المرأة محاسنها ذاتها وثيابها وحليها بمرأى الرجال).

يجب على المرأة المسلمة أن تلبس الملابس الساترة الفضفاضة التى لا تبين جزء من جسدها ولا تظهر زينتها وحليها أمام الرجال، ولا تضرب برجلها لتعلم الناس بما خُفِيَّ من زينتها فذلك هو التبرج الذى نهى عنه الله.

يخاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين فيوضح لهم إنهم إذا أرادوا سؤال أزواج النبيﷺ شيئاً يتمتعون به من ماعون وغيره أن يطلبوه منهن من وراء ستر بينهم وبينهن(١).

وسؤال نساء النبيﷺ من وراء حجاب وحاجز يقرر حكمة سامية هى زيادة تقرير معنى أمومتهن للمؤمنين التى هى أمومة شرعها الله فى كتابه العزيز

---

(١) أنظر تفسير المراغى - ٣٠/٢٢.

* محمد طاهر عاشور ٩٠/٢٢

والمتاع هو ما يحتاج إلى الإنتفاع به مثل عارية الأوانى ونحوها، ويلحق به السؤال عن أمور الدين وعن القرآن. وقد كان الصحابة يسألون عائشة عن أمور الدين والقرآن والحديث. وأن مخاطبة نساء النبى ﷺ من وراء حاجز وستر أقوى فى طهارة قلوب المؤمنين وقلوب نساء النبى صلوات وسلامه عليه. إن قلوب الفريقين طاهرة بالتقوى عامرة بالإيمان ومعظمة لحرمات النبى ﷺ ، فإن أمره عز وجل بإبتعادهم عن النظر اليهن إبتعاد عن الخواطر الشيطانية وقطع أسبابها، فتقع الطهارة فى قلوب الجميع(١).

فى هذه الآيات يتحقق معنى الحجاب لأمهات المؤمنين ونساء المسلمين، وعندما كانت نساء الجاهلية تخرج الحرة والأمة مكشوفات يتبعهن الزناة وتقع التهم، أمر الله نساء المؤمنين بالتجلبب.(٢)

جاء الإسلام بكل ما هو طيب وجميل حفظاً لكرامة المرأة، وصوناً لعفتها ومكانتها فى المجتمع(فطلب الله سبحانه وتعالى من نبيه ﷺ أن يأمر النساء المؤمنات وبخاصة أزواجه وبناته بأن يسدلن عليهن بالجلابيب إذا خرجن من بيوتهن ليتميزن عن الإماء) ويجب عليهن ألا يبدين شيئاً من مواضع الفتنة والزينة.(٣)

أن صفة إدناء الحجاب كما قال ابن عباس :(ذلك أن تلويه المرأة حتى لا يظهر منها إلا عيناً واحدة) وقال أيضاً: (ذلك أن تلويه فوق الجيب وتشده ثم تعطفه على الأنف وأن ظهرت عيناها لكنه بوجه يستر الصدر ومعظم الوجه.(٤)

من خلال هذه الآيات الكريمة نلمح أن الإسلام قصد من وراء فرض الحجاب أن يقطع طرق الشبهات ونزعات الشياطين، كما أن الأحكام الواردة فى هذه الآيات عامة تعم جميع المؤمنات لأنها آداب اجتماعية وإرشادات الهية يستوى فيها الناس جميعاً.(٥).

---

(١) أنظر محمد طاهر عاشور - التحرير والتنوير - ٢٢/ ٩٠،٩١.

(٢) الرازى - التفسير الكبير - /١٩٨.

(٣) المراغى - تفسير المراغى - ٣٦/٢٢.

(٤)ابن عطيه - /١١٦، ١١٧.

(٥) روائع البيان - محمد على الصابونى - ٣٣٨/٢.

إنّ فرض الحجاب ليس قاصراً على أزواج الرسول كما يقول الناس ولكنّ حكمه عام يشمل جميع نساء المؤمنين، والأمر ينزل على نساء النبيﷺ لأن بيوتهن مهبط العلم والحكمة ثم النساء المؤمنات فهن تبع لهن في الإلتزام بالأحكام والشرائع.

والمؤمنات اللاتي يتلقين نهي الله وقلوبهن مشرقة بنور الله، لم يتلكأن في الطاعة، على الرغم من رغبتهن الفطرية في الظهور بالزينة والجمال. وقد كانت المرأة في الجاهلية تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواريه شئ، وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها، وأقرطة أذنيها. فلما أمر الله النساء أن يضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، كن كما قالت عائشة رضي الله عنها:- (يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله:﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾(١) شققن مروطهن فاختمرن بها)* وكذلك يصنع الإسلام اليوم في صفوف المؤمنات على الرغم من هبوط الذوق العام... والجنوح الى التكشف والعرى.... فإذا هن يحجبن مفاتن أجسامهن طائعات، في مجتمع يتكشف ويتبرج ... هذا التحشم وسيلة من الوسائل الوقائية للفرد والجماعة ... ثم يبيح القرآن تركه عندما يأمن الفتنة(٢) يقول العزيز الحكيم في ذلك : ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٣). في هذه الآية الكريمة حدد الإسلام السن التي تضع فيها المرأة ملابسها هذه السن التي يقل فيها طمع الرجال من النظر الى تلك اليائسة في السن.

كذلك حدد أيضاً السن التي تبدأ بها المرأة في الإحتشام(٤) فيقول الرسولﷺ (يا أسماء إنّ بلغت المرأة المحيض لم يصلح لها أن يرى منها إلا هذا وهذا، وأشار الى وجهه وكفيه)(٥).

---

(١) النور : ٣١.

(٢) في ظلال القرآن -٠ سيد قطب - ٢٥١٢/٤.

(٣) النور :٦٠.

(٤) سيد سابق - فقه السنة- دار الكتاب العربي بيروت - ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م - ج١٩٠/٢.

(٥) أبو داوود- كتاب اللباس - باب فيما تبدئ المرأة من زينتها رقم ٤١٠٤ ج ٣٥٨/٤.

* سبق تخريجه- ص (٤٨).

صفة حجاب المرأة المسلمة :-

إن الحجاب الإسلامى ليس هو أى زى ترتديه المرأة، فالزى الإسلامى هو زى شامل لجميع بدن المرأة، فليس كل امرأة ترتدى بعض الملابس هى ترتدى الزى الإسلامى. إن بعض هذه الملابس ما صنعها أهلها إلا لغواية النساء المسلمات حتى يبتعدن عن إرتداء الزى الإسلامى الذى أمرهن الله عز وجل بارتدائه. فإن ما ينتجه الغرب لنا من ملابس وإن كانت سابغة فهى شبيه بالزى الإسلامى لكنها لا تحمل أوصافه، إن الزى الإسلامى الذى هو الحجاب أنزله الله تبارك وتعالى فى محكم تنزيله بشروط ومواصفات وزادت السنة الشريفة تلك المواصفات وبينتها.

إن الزى الإسلامى إذا لم يكن يحمل تلك المواصفات التى أوردها القرآن وبينتها السنة فهو ليس من الحجاب فى شئ، إن الزى الإسلامى الذى أنزله الله عز وجل لا بد أن يحمل هذه المواصفات :-

١- أن يكون سابغاً شاملاً لكل البدن قال تعالى:﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾(١).

٢- أن لا يكون اللباس زينة فى نفسه لأن الغاية من الجلباب ستر الزينة فلا يعقل أن يكون الجلباب زينة بذاته، قال عز وجل :﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾(٢).

٣- أن يكون فضفاضاً غير ضيق، وأن لا يكون شفافاً يظهر مواضع الزينة، فإذا لبست المرأة الثياب الضيقة الشفافة كانت كاسية عارية كما قال ﷺ فى الحديث: عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات رؤسهن كأسنمة البخت، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)(٣).

---

(١) الأحزاب : ٥٩.

٢- النور : ٣١.

(٣) مسلم - كتاب اللباس والزينة - باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات - حديث رقم ٢١٢٨ - ج ٣/١٦٨٠.

٤- ألا يشبه لباس الكافرات وأن لا يكون كلباس الرجال قال صلوات الله وسلامه عليه في الحديث عن ابن عباس قال :(لعن رسول اللهﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال)(١)

٥- ألا يكون لباس شهرة بغلاء ثمنه وفخامة مظهره لأن ذلك من التكبر وحب الظهور والله لا يحب المتكبرين(٢) عن ابن عمر قال رسولﷺ :(من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله يوم القيامة ثوباً مثله ثم تلهب فيه النار(٣).

٦- ألا يكون الثوب معطراً فيه إثارة للرجال لقولهﷺ (كل عين نظرت زانية، وإن المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية(٤).

٧- أن يكون كثيفاً غير رقيق لأن الغرض من الحجاب الستر، فإن لم يكن ساتراً لا يسمى حجاباً، لأنه لا يمنع الرؤية ولا يحجب النظر(٥). وفي حديث عائشة أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول اللهﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسولﷺ وقال: (يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار الى وجهه وكفيه).(٦).

---

(١) البخاري - كتاب اللباس - باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال حديث رقم ١٠١ - و٢٩١/٧.

(٢) محمد سعيد مبيض - الى المحجبات أولاً - دار الثقافة - الدوحة ط ١١-١٩٨٨م ص ١١٥.

(٣) أبو داوود - كتاب اللباس باب في لبس الشهرة رقم ٤٠٢٩ - ج ١١٤/٤.

(٤) أبو داوود كتاب الترجل - باب في المرأة وتتطيب للخروج - رقم ٤١٧٣ - ج /٤٠٠.

(٥) روائع البيان ج ٣١٤/٢

(٦) سبق تخريجه - ص ٤٨.

علماً مما سبق إن الحجاب فرض على المرأة تكريماً لها وتشريفاً لمكانتها السامية، فواجب على المرأة المسلمة أن تتمسك بآداب القرآن الكريم والسنة النبوية التى فيها صلاح الفرد والمجتمع.

إن تمسك المرأة بالحجاب الإسلامى يحول دون تلويث المجتمع المسلم بالفواحش، فهو واجباً على وجوب الفرائض ولا يسعها تركه بأى حال من الأحوال ما دامت قد بلغت سن الرشد. والأدلة التى ذكرت واضحة وصريحة فى وجوب الحجاب على المرأة المسلمة، فإن تمسكت به فازت ونجت وإن أعرضت عنه خابت وخسرت.

ونسأل الله العلى القدير أن يجعلنا محافظين على هذا الحجاب وداعين اليه وخصوصاً أخواتنا اللاتى سيطر الشيطان على عقولهن وأتبعن أهواءهن وتطلعات الغرب التى ما زالت تحارب الإسلام بكل وسيلة وخاصة فى إرسال الملابس التى يصنعونها لنا توهم أولئك النساء اللاتى لا يحكمن عقلهن فى أن هذه الملابس لا تمت الى الزى الإسلامى بصلة، فهم يعلمون عن الإسلام كل شى ويحاولون إضلالنا عنه بكل ما أوتوا من قوة. فالله ناصرنا عليهم ومتم لنا نور الإسلام و مظهره على كل الآفاق ولو كره أولئك الفجرة الكفرة. قال عز وجل :﴿هُوَ الَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾(١) وقال أيضاً :﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾(٢) إن الله عز وجل مظهر هذا الدين، فمهما عادانا أولئك الكافرون فإن الله ناصرنا عليهم بإذنه تعالى فإنه وعدنا ووعده حق.

(١) التوبة : ٣٣.

(٢) الصف : ٨.

أقوال العلماء فى كشف الوجه وستره:-

صرح جمهور علماء المسلمين فى أن كشف الوجه وستره واجب واستدل كل منهم بأدلة تبين صحة ما قاله، وانقسموا الى طائفتين، طائفة تؤيد كشف الوجه للمرأة وهما المالكية والأحناف. أما الطائفة التى تقول بستره فهم الشافعية والحنابلة.

وتأتى أدلة الفريقين هنا كما يلى :-

أولاً : المالكية والأحناف :-

استدل المالكية - أصحاب المذهب المالكى - والحنفية - أصحاب المذهب الحنفى - بأن الوجه والكفين ليسا بعورة وأوردوا عدة أدلة نذكر منها :-

١- قالوا (قد استثنت الآية فى سورة النور: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾(١) أى ما دعت الحاجة لكشفه وإظهاره وهو الوجه والكفان، وقد نقل هذا عن الصحابة والتابعين، فقال سعيد ابن جبير* ما ظهر منها قال : (الوجه والكفان) وقال عطاء** (الكفان والوجه)(٢).

٢- استدلوا بحديث عائشة رضى الله عنها أن أسماء بنت ابى بكر دخلت على رسول الله ﷺ وقال :(يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار الى وجهه وكفيه)(٣).

٣- وقالوا مما يدل على أن الوجه والكفين ليسا بعورة:(إن المرأة تكشف وجهها وكفيها فى صلاتها وتكشفهما أيضاً فى الإحرام، فلو كانا من العورة لما أُبيح لها كشفهما لأن ستر العورة واجب لا تصح صلاة الإنسان إذا كان مكشوف العورة.

---

(١) النور : ٣١.

(٢) الطبرى - جامع البيان - ٩/٣٠٤،٣٠٥.

(٣) سبق تخريجه ص (٤٨) .

* سعيد بن جبير بن هشام الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، قرأ القرآن على ابن عباس وقرأ عليه عمرو بن العلاء وطائفة - قتله الحجاج وكان عمره ٥٧ سنة - سير أعلام النبلاء - ٤/ ٣٢١.

** عطاء بن يسار كان أخوه سليمان إماماً فقيهاً واعظاً - حدث عن ابى ايوب وزيد وعائشة وغيرهم - مات سنة ١٠٣ هجرية وقيل مات قبل المائة - سير أعلام النبلاء - ٤/٤٤٨.

أدلة الشافعية والحنابلة:-

١- استدل الشافعية والحنابلة بالآية ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ فقد حرمت الآية إبداء الزينة ، فالزينة قسمان خلقية ومكتسبة، والوجه من الزينة الخلقية بل هو مصدر الجمال ومصدر الفتنة والإغراء. أما الزينة المكتسبة فهى ما تحاوله المرأة من تحسين خلقتها كالثياب والحلى والكحل والخضاب، والآية الكريمة منعت المرأة من إبداء الزينة مطلقاً وحرمت عليها رؤية شئ من أعضائها أمام الرجال أو تظهر زينتها أمامهم واستدلوا بقوله تعالى ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ إن المراد ما ظهر بدون قصد ولا عمد.(١).

٢- وردت أحاديث كثيرة تدل على حرمة النظر، منها :-

قال رسول ﷺ (يا على لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة)(٢).

٣- إن الوجه أعظم فتنة من القدم والساق، فلذا لا يجوز النظر الى المرأة خوف الفتنة وللمرأة أن تستر وجهها(٣).

يتلخص البحث فى هذه الآراء أن وجه المرأة ليس بعورة وإن كشفه يجوز إذا لم يكن بذلك الوجه فتنة، وإذا ترتب عليه فتنة يجوز ستره سداً للزريعة، ويدل على هذا القول حديث جابر رضى الله عنه "صلاة النبى ﷺ بالناس صلاة العيدين ثم وعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن فقال صلى الله عليه وسلم للنساء:

---

(١) محمد على الصابونى - روائع البيان - ٢/١٥٥.

(٢) الترمذى كتاب الأدب - باب ما جاء فى نظرة المفاجأة تحديث رقم ٢٧٧٧ - ٥/١٠١ - وقال عنه حسن غريب.

(٣) الصابونى - روائع البيان - ٢/ ١٥٦.

(تصدقن فإنكن أكثر حطب جهنم فقامت امرأة من سَطِة * النساء سفعاء الخدين)(١) إن هذه المرأة التى قامت من وسط النساء كانت كاشفة لوجهها، لأن السفعاء مفردها سفعة وهو سواد مشرب بحمرة.

قال أبو حنيفة** : (وتمنع المرأة الشابة من كشف الوجه بين الرجال لا لأنه عورة بل (لخوف الفتنة)(٢).

إن فى حالة خوف الفتنة للمرأة أن تستر وجهها، وخلافاً لذلك فإن للمرأة أن تكشف وجهها لأنه ليس بعورة لقوله ﷺ فى حديث أسماء. ويؤيد ذلك أيضاً أن المرأة المحرمة للحج والعمرة، وفى الصلاة لا تغطى وجهها فلو كان الوجه عورة لأمر بتغطيته من صلاة ومن غيرها. غير أن العلماء قد اتفقوا جميعاً على أن عورة المرأة فى الصلاة جميع جسدها عدا الوجه والكفين.

قال الشافعى: (وكل المرأة عورة إلا كفيها ووجهها وظهر قدميها عورة... وإن انكشف من المرأة فى صلاتها شئ من شعرها قل أو كثر ومن جسدها سوى وجهها وكفيها وما يلى الكف من موضع مفصلها.... أعادت الصلاة)(٣).

---

(١) مسلم – كتاب صلاة العيدين – باب إباحة خروج النساء للعيدين رقم (٤) ج ٢/٦٠٧.

* سطة النساء : معناه من خيارهن والوسط العدل وفى بعض النسخ واسطة النساء.

(٢) حاشية ابن عابدين على الدر المختار – شرح تنوير الأبصار على مذهب ابى حنيفة النعمان – طبعة (١) ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م ج ١/٤٠٦.

(٣) الشافعى – الأم ١/٨٩.

** النعمان بن أبى عبد الله محمد بن منصور أحد الأئمة الفضلاء المشار اليهم، وكان من أهل الفقه والعلم والدين والنبل، وله تصانيف عدة، توفى بمصر سنة ٣٦٣هـ – وفيات الأعيان – ٥/٤١٥.

الفصل الثالث

عادات اجتماعية أبطلها الإسلام

المبحث الأول : التبنى

المبحث الثانى: الظهار

المبحث الثالث : التوريث بالحلف والدين

المبحث الأول :

التبنى:

تعريف التبنى :

أخذ الإسلام يعيد تنظيم العلاقات الاجتماعية فى محيط الأسرة، وتعتبر الأسرة هى الوحدة الإجتماعية الأولى ويوليها عناية فائقة لأنها المحصن الذى ينشأ فيه الأجيال.

عندما جاء الإسلام وجد بناء الأسرة فى الجاهلية هشاً متخلخلاً نظراً للفوضى التى كانت سائدة فى العلاقات الأسرية والعلاقات الجنسية التى أدت إلى اختلاط الأنساب وجهل الآباء فى بعض الأحيان فأصبح المجتمع الجاهلى يشتمل على أبناء لا يعرف لهم آباء وكان الشخص فى الجاهلية إذا أعجبه أحد هؤلاء الفتيان يتبناه لنفسه ويدعوه ابنه ويلحقه بنسبه فيتوارث واياه توارث النسب، بجانب الذين يعرف اباؤهم كانت هناك فئة لا يعرف لهم آباء، فيتبناهم من يعجبون بهم ويلحقونهم بنسبهم، فيعرف الفتى باسم الرجل الذى تبناه ويدخل فى أسرته، وكان هذا النوع يقع بخاصة فى السبى حين يؤخذ الأطفال والفتيان فى الحروب والغارات التى كانت البيئة الجاهلية تعيش فيها من حروب وإغارات على المناطق الآمنة. فمن شاء أن يلحق بنسبه واحداً من هؤلاء دعاه أبناً وأطلق عليه أسمه وعرف به وصارت له حقوق البنوة وواجباتها(١) .

جاء الإسلام ووجد هذه العادة سارية فى المجتمع الجاهلى ومتمكنة فيه، حتى أن النبىﷺ كان متبنياً أحد الأبناء، فلما نزل التشريع ينظم علاقات الأسرة على الأساس الطبيعى لها أبطل عادة التبنى ورد علاقة النسب الى أسبابها الحقيقية من الأبوة والبنوة الحقيقية.(٢)

---

(١) أنظر سيد قطب - الظلال- ج٥/٢٨٢٤ : ٢٨٢٥.

(٢)أنظر محمد الأباصيرى - الظلال - تفسير سورة الأحزاب - مكتبة المنار الإسلامية - الكويت- ط(١) ١٤٥٠هـ، ١٩٨٥م ص ١٩.

إن نظام التبنى كان متأصلاً فى نفوس الجاهلين وله آثار واقعية فى حياتهم، ولم يكن إبطاله يمضى بسهولة، لأن التقاليد الاجتماعية هى أعمق أثراً فى النفوس. وإبطال هذه العادة لا يتأتى إلا من شخص له السيطرة على المجتمع ينظر اليه المجتمع بنظرة التعظيم والإجلال، وضرب الله برسوله المثل الأعلى فى استئصال هذه العادة التى كانت سائدة فى الجاهلية، قابل المجتمع هدم هذه العادة بالإستنكار أول الأمر، وبنزول القرآن مبيناً لهم أن التبنى يؤدى إلى إختلاط الأنساب والفوضى فى نظام الأسرة، ولكى يزيل الإسلام هذه العادة من الوجود أمر النبى ﷺ أن يطبقها على نفسه، وذلك بزواجه من مطلقة ابنه الذى تبناه فى الجاهلية.

الآيات الواردة عن التبنى :-

يقول عز وجل فى محكم تنزيله ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ * ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾(١)

وقال أيضاً :﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾(٢).

وقال تبارك وتعالى :﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾(٣)

---

(١) الأحزاب : ٤،٥.

(٢) الأحزاب : ٣٧.

(٣) الأحزاب : ٤٠

سبب نزول الآيات :-

١- نزلت هذه الآيات في زيد بن حارثة* كان عبداً لرسول الله ﷺ فأعتقه وتبناه قبل الوحي فلما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش، وكانت تحت زيد بن حارثة قالت اليهود والمنافقون :(تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عنها) فأنزل الله عز وجل هذه الآيات(١).

٢- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن زيداً بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾(٢)(٣).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما تزوج النبي ﷺ زينب قالوا (تزوج حليلة ابنه فأنزل الله الآية)(٤).

لهذه الأسباب ولغيرها أنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآيات هدماً لعادة التبني التي كانت متفشية في الجاهلية وصدر الإسلام.

معاني المفردات :-

معنى التبني في اللغة :-

البنوة : مصدر الابن، يقال تبنيته أي ادعيت بنوته، وتبنى الشخص ولداً أي اتخذه ابناً(٥).

---

(١) الواحدي - أسباب النزول - ص ٤٠٨.

(٢) الأحزاب : ٥.

(٣) البخاري - كتاب التفسير - باب أدعوهم لآبائهم رقم ٢٧٦ - ٢١٠/٦.

(٤) عبد الفتاح القاضي - أسباب النزول من الصحابة والمفسرون - دار الندوة بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م - بدون رقم (ط) ص ١٨٥.

(٥) (١) أنظر ابن منظور -لسان العرب - مادة بني - ج١/٥٠٨.

* زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي بن عبد العزى بن يزيد بن وبره الكلبي، أمه سعدى بنت ثعلبة بن عامر من بني معد بن طي، كان زيد أول من أسلم، أستشهد في موقعة مؤته بأرض الشام سنة ٨هـ - الإصابة ٤٨/٤ والإستيعاب ٥٣/٤.

التبنى فى الإصطلام :-

المتبنى هو الأبن الذى تدعى بنوته، فيدعى لغير أبيه ابن له، وكان له أحكام الإبن فى الجاهلية وصدر الإسلام وفى الواقع هو ابن غيره(١).

معنى الأدعياء فى اللغة :-

مفردها دعى والدعى : المتبنى الذى تبناه رجل فدعاه ابنه ونسبه إلى غيره أى هو المنسوب إلى غير أبيه(٢).

الأدعياء فى الإصطلام :-

الأدعياء جمع دعى وهو الولد الذى كان الرجل يدعيه وهو ليس له، أو يدعى اليه بسبب تبنيه إياه كما كان الأمر فى الجاهلية وأول الإسلام.(٣).

أقوال العلماء فى تفسير الآية :-

كان التبنى قبل الإسلام متفشياً فى البيئة الجاهلية التى أخذت التبنى من الأمم الراقية يومئذ كالروم والفرس، وكانوا يرتبون على الابن المتبنى أحكام الولد من الصلب من التوارث وحرمة الأزواج وغيرها من الأحكام التى شرعها الله تعالى للإبن المولود حقيقة أى من الأب نفسه لا من غيره.(٤).

---

(١) وهبة الزحيلى - التفسير المنير - ٢٣٢/٢١.

(٢) ابن منظور - لسان العرب - مادة دعا - ٣٦٣/٤.

(٣) عبد الرحمن ناصر السعدى - تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان - دار المدنى جدة- ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م بدون رقم طبعة - ١٣٥/٤.

(٤) ينظر الطباطبائى - الميزان - ٢٩٠/٦.

وعندما جاء الإسلام وجد هذه العادة الاجتماعية يتعامل بها المجتمع الجاهلى فكان لأغلب الجاهليين أولاد تبنوهم، سواء كان هؤلاء الأبناء أبناء سبى من الحروب أو اعجاب بهؤلاء الأبناء، وبحكم هذه العادة السارية فى جزيرة العرب صار التبنى معمولاً به كأنه عقيدة ورثوها حتى أن النبىﷺ تبنى أبناً من العرب وصار اسمه مقروناً باسم محمدﷺ ذلك هو زيد بن حارثة الذى اشتراه حكيم بن حزام * وكان قادم من الشام، واشترى معه عدد من الغلمان وعندما وصل حكيم بن حزام مكة قال لعمته خديجة بنت خويلد**، وهى يومئذ عند رسول اللهﷺ :(اختارى يا عمة أى هؤلاء الغلمان شئت فهو لك، فاختارت زيد فأخذته فرآه الرسولﷺ عندها فاستوهبه منها، فوهبته له، فأعتقه رسول اللهﷺ وتبناه وكان ذلك قبل أن يوحى إليه.

(١) أنظر أحمد بن على بن حجر العسقلانى - الإصابة فى تمييز الصحابة مكتبة الكليات الأزهرية - ط "١" ١٣٩٠ - ١٩٧٠م - ج ٤٧/٤.

* حكيم بن حزام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى، أبن أخ خديجة بنت خويلد ابن عم الزبير بن العوام، اسلم يوم الفتح، شهد بدرا مع الكفار ونجا منهزماً. ولد قبل الفيل ومات سنة ٥٤هـ عاش ستين فى الجاهلية وستين فى الإسلام وقيل أقل من ذلك أسد الغابة ٥٢٢/١.

** خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية الأسدية أم المؤمنين، زوج النبىﷺ أول خلق الله إسلاماً كانت تدعى فى الجاهلية الطاهرة، وأمها فاطمة بنت راندة بن الأصم. أولى زوجات النبىﷺ وأم أولاده، توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين وكان عمرها خمس وستين سنة - أسد الغابة ٧٨/٦.

وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعاً شديداً وبكاه بكاءاً مراً حين علم بفقده. وكان يجد في البحث عنه. فبحث عنه طويلاً. وعندما علم بمكانه في مكة قَدِمَ عليه وهو عند رسول ﷺ فطلب من الرسول ﷺ أن يعطيه فداء مقابل أن يتخلى له عن ابنه. لكن الرسول ﷺ لم يقبل أي فداء في زيد. هذه هي سماحة الإسلام وحسن تعامل النبي ﷺ . خير الرسول ﷺ زيد بين الإقامة معه أو الذهاب مع أبيه وعمه فقال له :(إن شئت فاقم عندي، وإن شئت فانطلق مع أبيك) فقال زيد : بل أقيم عندك.(١).

عندما اختار زيد بن حارثة البقاء مع النبي ﷺ أخرجه الى الحجر فقال :(اشهد أن زيد ابني يرثني وأرثه) فمنذ ذلك الوقت زيد بن محمد وزوجه النبي ﷺ بنت عمته زينب بنت جحش التي تزوجها النبي ﷺ بعد أن طلقها زيد ليهدم بهذه العادة التي كانت متأصلة في نفوس الجاهليين.(٢).

كان زيد أول من أسلم وشهد بدراً وزوجه النبي ﷺ مولاته أم أيمن فولدت له أسامة وكان به يكنى، وكان ذلك قبل زواجه بزينب. قتل زيد بن حارثة بمؤتة من أرض الشام سنة ثمان من الهجرة. وكان الأمير على تلك الغزوة.(٣).

لقد شدد الرسول ﷺ في التثبت والتأكد من النسب بتوكيده جدية التنشيء الجماعي الذي يلغي كل أثر للتخلخل الاجتماعي الجاهلي. والوعيد الذين يكتمون الحقيقة في الانتساب بوسمة الكفر وقد جاء في حديث أبي ذر على لسان قال سمعت رسول الله يقول : ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر.(٤).

١- نفس المصدر السابق ص ٢٠٠

٢- ينظر أحمد بن علي حجر الإصابة ص ٥٥٠

٣- ينظر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٥٥٠

٤- د. تحليل ص محمد الزحم

(٤) مسلم - كتاب الإيمان - حال من رغب أبيا وهو يعلمه

وهذا التشديد يتمشى مع عناية الإسلام بصيانة الأسرة وروابطها من كل شبهة ومن كل دَخَل، وحياطتها بكل أسباب السلامة والإستقامة والقوة والثبوت ليقيم عليها بناء المجتمع المتماسك النظيف العفيف(١).

إن موضوع التبنى من المواضيع التى تحتاج الى معالجة محكمة، لأن تعلق الناس بها شديد.(٢).

أرسل الله سبحانه وتعالى رسول محمدﷺ لإزالة هذه العادة التى كان معمولاً بها فى الجاهلية وصدر الإسلام، التى بها تجرى أحكام البنوة على الأبن المتبنى من إرث ومناصرة وغيرها. هذه العادةتنفرمنهاالقلوب المؤمنه ويظهر ذلك فى أن بعض من تبنى ابناً شعر بالحرج من دخول هذا الأبن المتبنى عليه ويظهر ذلك عند سهلة بن سهيل ابن عمرو* عندماجاءت إلى النبىﷺ فقالت: إن سالماً** كان يدعى لأبى حذيفة*** رضى الله عنه، وإن الله قد أنزل فى كتابه ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ وكان يدخل عليّ وأنا وحدى، ونحن فى منزل ضيق، فقال النبىﷺ (ارضعى سالماً تحرمى عليه)(٣) هذا مما يدل على أن بعض النفوس المسلمة كانت تنفر من هذا التبنى فأزاله الله سبحانه وتعالى رحمة لهذه الأمة الإسلامية حتى لا تختلط الأنساب ويعم الشر والفساد.

قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾(٤).

---

(١) سيد قطب - الظلال - ٢٨٢٦/٥.

(٢) سعيد حوى - الأساس - ٤٣٩١/٨.

(٣) مسلم - كتاب الرضاع - باب رضاعة الكبير - رقم ٢٧-١٠٧٦/٢ - حديث السيدة عائشة رضى الله عنها.

(٤) الأعراف : ١٥٦

* سهلة بنت سهيل بن عمرو القرشية من بنى عامر بن لؤىهى امرأة أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة من السابقين الى الإسلام ، ومن المهاجرين الأوائل الى الحبشة - أسد الغابة ١٥٤/٦.

** سالم مولى أبى حذيفة وهو سالم بن عبيد بن ربيعة وقيل سالم بن معقل يكنى أبا عبد الله كان من فضلاء الصحابة، شهد بدراً والمشاهد كلها كان حسن القراءة ومن الأربعة الذين أمر النبىﷺ أن يؤخذ منهم القرآن، إستشهد يوم اليمامة بعد أن أبلى بلاءاً حسناً - أسد الغابة ١٥٥/٢.

*** أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشى العشمى وهو من السابقين الى الإسلام ومن المهاجرين إلى الحبشة - أسد الغابة ٣١١/٤. هاجر اليها مرتين، استشهد يوم اليمامة سنة ١٢هـ وعاش ٥٣سنة سير أعلام النبلاء ١٦٤/١.

ولإزالة هذه العادة أمر الله سبحانه وتعالى محمداﷺ أن يتزوج زينب بنت جحش التى طلقها زيد بن حارثة، فهوﷺ قدوة بحب التآسى به فقال سبحانه وتعالى:﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(١) بهذا الزواج المبارك من عند الله سبحانه وتعالى قضى الله على عادة التبنى،التى لو لم يتزوج الرسولﷺ زينب بنت جحش لكانت هذه العادة صعبة الإزالة، لكن الله سبحانه وتعالى فى تشريعه للأحكام لعباده يأتى بما يناسب ما كان فى نفوسهم، ورأينا التدرج فى بعض الأحكام الشرعية كتحريم الخمر وحرمة التعامل بالربا، ولو لم يتدرج التشريع وخاصة فى تحريم الخمر لما أقلع الناس عنها بسهولة لأنها كانت كل حياتهم،لهذا هيأ الله العقول لتقبل تحريم الخمر بالتدريج ونرى ذلك من خلال هذه الآيات لنرى حكمة الله عز وجل. بدأ الله سبحانه وتعالى تحريم الخمر بقوله :﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً﴾(٢) وقال أيضاً ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾(٣) قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾(٤) والآية التى نزلت تحرم الخمر نهائياً قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٥) لو أن الله سبحان وتعالى أنزل هذه الآية،لما اجتنب الناس الخمر نهائياً لشدة تعلقهم بها. لهذا هيأ الله سبحانه وتعالى العقول لتستجيب لتحريم الخمر.

لهذا أزال الله سبحانه وتعالى عادة التبنى بزواج سيدنا محمدﷺ بزينب بنت جحش لكى لا يترك مجالاً لهم بعدم تنفيذ هذا الأمر لكن المنافقين والمرجفين بعد هذا البيان العملى منهﷺ قالوا : (تزوج محمد ﷺ حليلة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك. فقال لهم الله عز وجل :﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾(٦) بهذه الآية الكريمة أخبر الله سبحانه وتعالى الكثيرين من الناس بأن سيدنا محمدﷺ لم يكن أبا أحد من هؤلاء الموجودين فى عصر النبوة.

---

(١) الأحزاب :(٢١). (٢) النساء :(٤٣).(٣) البقرة:(٢١٩).٥٠ - المائدة :(٩٠)- الأحزاب :(٤٠)

(٥) النحل :(٦٧).

(وفى هذه الآيات مخاطبة لجميع الأمة أخبرهم أنه لا حرج على رسول ﷺ من تزويجه زوجة ابنه، فنفى القرآن تلك الصورة من البنوة وأعلم الجميع أن محمداً لم يكن فى حقيقة أمره أبا أحد من الرجال المعاصرين له بل هو خاتم أنبياء الله ورسله)(١).

بهذا الإلهام الذى ألهم الله به محمداً ﷺ أن يتولى إزالة التبنى فى أحد عتقائه لتسقط تلك العادة فعلياً، وبما أن زينب كانت فى بداية الأمر لا تريد زيداً زوجاً لها، لكن زوجها الله عز وجل بزواج زيد، والنبى ﷺ يجد فى هذا الزواج مقدمة لتقرير شرع جديد وتنفيذ حكم الهى، وبزواج النبى ﷺ لزينب مزق حجاب تلك العادة وكسر الباب الذى كان مغلقاً دونها(٢).

قال صاحب مفاتيح الغيب :(كان زواج النبى ﷺ بزينب مقصوداً مراعاً وكان مبيناً لشرع الله خالياً من المفاسد(٣).

أحل الله عز وجل زواج مطلقات الأدعياء لئلا يبقى الحرج على المؤمنين فى تزويج مطلقات الأدعياء، فهذا أمر قدره الله وسطره منذ أمد بعيد فنفى الله تعالى أدعاء الأبناء الى غير آبائهم وأمرهم برد نسبهم الى آبائهم فى الحقيقة، وإن هذا هو العدل والقسط الحق ليس هو مثل قول أفواههم، فهو قول باطل لا حق فيه ولا حقيقة له، فهذا القول لا يقتضى منه أن يكون الإبن من التبنى ابن من الصلب، لأن الإبن من التبنى هو ابن من صلب رجل آخر فلا يمكن أن يكون له أبوان بل فى حقيقة الأمر له أب واحد.

---

(١) ابن عطية - المحرر الوجيز - ٧٤،٧٥.

(٢) أنظر القاسمى - محاسن التأويل - ٢٧٢/٢٧٣.

(٣) الرازى - مفاتيح الغيب - ٢١٣/٢٥.

أما إذا كان بعض الأبناء مجهولوا النسب لا يعرف لهم آباء أمر الله عز وجل المؤمنين بادعائهم بأنهم أخوانهم فى الدين ومواليهم أى أن يقولوا لهم:يا أخى و يا مولاى، عوضاً عن ما فاتهم من النسب الذى ألحقه الجاهليين بهم.(١).

ومن الذين تبناهم العرب فى الجاهلية بجانب زيد بن حارثة المقداد بن عمرو* الذى تبناه الأسود بن عبد يغوث** وسالم كان قد تبناه حذيفة.

شدد الله سبحانه وتعالى فى أمر التبنى فأمر بعدم تعمد مناداة الإبن المتبنى بمن تبناه بعد نزول الآيات، بل أمر الله بمناداته باسم أبيه. قال ﷺ (من ادعى أباً فى الإسلام غير أبيه، يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام)(٢) وقال أيضاً :(من أعظم الفرى*** أن يدعى الرجل الى غير أبيه)(٣). بهذه الأحاديث حرم الله سبحانه وتعالى مناداة المتبنى بمن تبناه عن طريق العمد، أما عن طريق الخطأ أو الجهل فلا حرج فى ذلك. قال سبحانه وتعالى﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾(٤) ومن نسب رجلاً الى غير أبيه وهو يرى أنه أبوه خطأ فذلك من الذى رفع الله فيه الجناح) قال ذلك قتادة، وإذا قال الشخص لهذا الإبن يا بنى على طريق التحبب والتحنن فهذا مما لا حرج فيه ولا إثم(٥).

---

(١) أنظر ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ٤٩٢،٤٦٦.

(٢) البخارى - كتاب الفرائض - باب من أدعى الى غير أبيه رقم حديث سعد - ج١٢/٨، ومسلم كتاب الإيمان باب حال من رغب من ابيه وهو يعلم - رقم ١١٤ - ٨/١.

(٣) البخارى - كتاب بدء الخلق - باب المناقب - ١٥٧/٤.

(٤) الأحزاب : ٥.

(٥) أنظر القرطبى - الجامع لأحكام القرآن - ١٢٠/١٤.

* المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن الشديد المعروف بالمقداد بن الأسود الذى تبناه، ويقال له المقداد الكندى لأنه قدم من كنده. من المسلمين الأوائل هاجروا الى الحبشة شهد بدراً وله فيها مقام مشهور وشهد المشاهد كلها، توفى فى خلافة عثمان وكان عمره ٧٠ سنة.

** الفرى : الكذب

*** قتادة بن دعامة ابو الخطاب السدوسى البصرى الأعمى المفسر أحد الأئمة فى حروف القرآن، سمع من أنس بن مالك وغيره وكان يضرب بحفظه المثل - توفى سنة ١١٧هـ - طبقات القراء ٢٥/٢.

إن محمداً ﷺ خاتم أنبياء الله ورسله لم يكن أبا احد من المسلمين بل أخانا وحبيبنا الذى أنقذنا من الضلالة الى الهدى وأرشدنا الى طريق الرشاد والتقى، فيجب علينا أن نسير على نهجه الحق وطريقه المستقيم وألا نحيد عما جاءنا به، وأن نبين لكافة العالم عما أتانا به الرسول ﷺ من حجج قاطعة وآيات بينة، وأن ندافع عن الشبهات التى آثارها المستشرقون عنه فى تعداد زوجاته وخاصة زواجه بزينب بنت جحش التى كان زواجه لها لهدم قاعدة ظلت البيئة الجاهلية متمسكة بها،التى لو لم يكن أزالها الرسول ﷺ بنفسه لصعب عليه الأمر فى إزالتها ومحوها من الوجود، إنه حبيبنا محمد ﷺ قائد الخير ورسول الإنسانية الذى أرسله الله لكافة البشر: فقال تعالى :﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَاكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ النَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾(١).

حكم التبنى والآثار الناجمة عنه :-

أولاً : حكم التبنى :-

نزلت الآيات الكريمة توضح حرمة التبنى على الأمة المسلمة، كما بين الله قبح التبنى وأنه باطل وكذب وكل باطل وكذب لا يوجد فى شرع الله ولا يتصف به عباد الله.

وتعود حرمة التبنى لعدة أسباب منها :-

١- (التبنى فى الإسلام حرام لأنه يصادم الحقيقة، والأولى والأعدل أن ينسب الرجل الى أبيه نسباً ويحرم على الإنسان أن يتعمد دعوة الولد لغير أبيه على النحو الذى كان فى الجاهلية)(٣).

قال ﷺ (لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر)(٤).

---

(١) سبأ : ٢٨.

(٢) عبد الرحمن ناصر السعدى - تيسير الكريم المنان - ١٣٥/٤.

(٣) وهبة الزحيلى - التفسير المنير - ٢٤٠/٢.

(٤) مسلم - كتاب الإيمان باب حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم رقم ١١٢، ج ٧٩/١. حديث أبو ذر رضى الله عنه.

٢- المتبنى و اللصيق لا يكون له إلا حق الأخ والمولى فى الدين فحرم على المسلمين أن ينسبوا الدعى لمن تبناه.

٣- فى التبنى إقتطاع لحقوق الأبناء)(١).

٤- حرم تعمد دعوة الإنسان لغير أبيه على الوجه الذى كان فى الجاهلية أما إذا كانت الدعوة على سبيل التحنن والشفقة فهذا مما يقع كثيراً فالظاهر عدم الحرمة.(٢).

رفع الله عن أمته خطأهم فيما كانوا ينسبون من ادعاء الأبناء الى غير أبائهم الحقيقيين واعتبره سبحانه وتعالى أنه خطأ منهم. قال ﷺ:(رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)(٣) أى أنه لا أثم فى قول الخطأ وإنما الأثم فى تعمد الباطل، فنسب الأبناء الى غير الأباء المعروفين معصية لله تعالى موجبة العقاب.(٤).

ثانياً : الآثار الناجمة عن التبنى :-

إن الله سبحانه وتعالى لم يحرم شيئاً على أمته إلا إذا كان له أضراراً وآثاراً تؤثر فى المجتمع فحرم الله التبنى لأنه يجلب كثيراً من المضار والمفاسد التى تؤثر على الحياة الأسرية السليمة ومن تلك الآثار :-

١- إن التبنى مخالفة للفطرة الإنسانية وكذب، فإن جُعِلَ ولداً ليس مولود لشخص كان هذا افتراء على الحقيقة، لأن الأبوة ليست لفظاً يتردد ولا عقداً يعقد ولكنها حنان وشفقة وارتباط لحم ودم.

---

(١) القاسمى - محاسن التأويل - ٢٧١.

(٢) أنظر الألوسى - روح المعانى - ٢١/ ١٤٩.

(٣) أورده ابن حجر فى فتح البارى - ج ١٦٠/٥, ١٦١ - وذكره ابن عدى الجرجانى فى الكامل فى ضعفاء الرجال - ج ٢/ ٥٧٣ والسيوطى فى الدر المنثور - ٣٧٧/١.

(٤) أنظر وهبة الزحيلى التفسير المنير - ٢١/ ٢٣٧.

٢- إن هذا الإبن المتبنى هو لصيق على الأسرة ربما يجد هذا الإبن أن الأسرة لا ترغبه وخصوصاً الأبناء فهم لا يشعرون نحوه بشعور الأخوة، بل يشعرون بأنه دخيل عليهم يريد أن يسلبهم حقوقهم(١).

٣- إن الإبن المتبنى يحل له الإرث وتحرم عليه حلائل الرجل، وغير ذلك من أحكام الأبناء، ولوجعل ذلك لضاعت الأنساب وعم الإرتياب وانقلبت كثيراً من الحقائق وانفتحت بذلك أبواب الشر والفساد(٢).

وقد أمر الله برد نسب الأدعياء الى آبائهم إن كانوا معروفى الآباء لأن هذا هو العدل الذى يجب الوقوف عنده عدل للوالد الذى نشأ هذا الولد من صلبه أن ينسب ولده له لا لغيره، وعدل للولد أن ينسب إلى والده الحقيقى فيحمل اسم أبيه ويتعاون معه ويتوارثان، ويكون امتداداً له بخصائصه الكامنة وعدل للحق ذاته، إذ يوضع كل شئ فى مكانه، وتقوم الصلات الأسرية على أصلها الفطرى، ويحتفظ بمزية الولد لوالده ومزية الوالد لولده، ويعفى الأب الدعى من تبعات الأبوة لمن يتبناه ويعفى المتبنى من تبعات البنوة لغير والده الحقيقى(٣).

(١) ينظر محمد أبو زهرة - تنظيم الإسلام للمجتمع - دار الفكر العربى - القاهرة - بدون (ط و ت) ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٢) ينظر البقاعى - نظم الدرر - ١٥/ ٢٨٥.

(٣) الأباصيرى - تفسير سورة الأحزاب - ص ١٩.

التبنى فى المجتمع الإسلامى :-

إن التبنى اليوم فى البلاد الإسلامية هو تبنى إسلامى،أى أنه يتقيد بتعاليم الإسلام من عدم ادعاء الإبن إلى غير أبيه ويقع هذا التبنى فى بعض أفراد المجتمع وهم الأطفال محرومى الآباء، ويطلق عليهم فى اللغة والفقه باسم اللقيط.

اللقيط فى اللغة : (هو الطفل الذى يوجد مرمياً على الطريق لا يعرف أبوه ولا أمه)(١).

اللقيط فى الفقه :-

(هو صغير آدمى لم يعلم أبوه ولا أمه حر أو مشكوك فيه) (٢) وهو من رماه أبواه فراراً من التهمة والفقر وأخذه فرض كفاية لا يجوز رميه بعد أخذه لأنه تعين حفظه بمجرد التقاطه(٣).

شدد الإسلام فى رعاية هؤلاء اللقطاء بالمودة والرحمة والعاطفة الحسنة، ومنع المجتمع من إيذائهم وإيلامهم أو النظر اليهم بعين الإحتقار لينفروا من المجتمع، فإذا نفروا منه تولد الشذوذ وكثر الفساد لعدم الإحساس بالإلفة والمحبة.(٤).

تولى المجتمع رعاية اللقطاء، فكون لهم دور لرعايتهم والعناية بهم، ليعوضوهم جزء من حنان الأبوة،وعطفها الذى حرموا منه.

تولت وزارة الشئون الثقافية والاجتماعية ممثلة فى الرعاية الاجتماعية رعاية شئون هؤلاء الأطفال، فأنشأت لهم دوراً عديدة منها دار الطفل بالمايقوماً، هذه الدار مسئولة عن هؤلاء الأطفال الذين رمت بهم الأقدار فى هذه الديار، فهى تتكفل برعايتهم والعناية بهم إلى بلوغهم سن الرشد، فهى تقوم بكل مستلزماتهم من أكل وشرب وتعليم وغيره.

---

(١) لسان العرب بن منظور - ٢٩٢/٧.

(٢) أحمد الصاوى - بلغة السالك - ٢/ ٢٩٨.

(٣) أحمد بن محمد بن أحمد الدردير - الشرح الصغير على أقرب المسالك. - دار المعارف - القاهرة - بدون طبعة وتاريخ - ١٧٩/٤.

(٤) أنظر محمد أبو زهرة - تنظيم المجتمع الإسلامى - ص ١١٩ - ١٢٠.

* من أحياء الخرطوم هى امتداد المسيانة تقع جنوب الخرطوم .

التبنى لهؤلاء الأطفال :-

إذا أراد مواطن أن يتبنى طفل من هؤلاء الأطفال فإن الدار تدرس حالة المتقدم للطفل، وذلك بأخذ معلومات عنه وعن الظروف التى دعته للتبنى ودخل الأسرة، وسلوكها وصلاحية المنزل، والخلو من الأمراض المعدية، وقبل كل ذلك يتقدم المواطن بطلب إلى وزارة الشئون الإجتماعية ويكون ذلك الطلب بعد موافقة الزوج إذا كان المتقدم إمرأة، وتوثيقه من اللجان الشعبية وبشهادة عدلين. كل هذه الإجراءات القصد منها وضع الطفل فى أيدى أمينة تحافظ عليه وتقوم برعايته خير قيام.

بعد قبول الطلب من الوزارة يعطى للطفل اسم ثلاثى وهمى لا يجب على المتبنِى تغييره حتى تختلط الأنساب، أما الإسم الأول للمُتَبَنَّى له الحق فى تغييره، ويسلم الطفل للمتبنِى.

لا يترك الطفل بمجرد تسليمه للمتبنَّى بل تقوم الدار بمتابعته وتسجيل زيارات عديدة شهرية تستمر لمدة ثلاث سنوات، وتزوره فى فترات متقطعة إلى بلوغه سن الرشد. كما تقدم الدار له بعض الإعانات المالية إذا لجأ اليها، كما تقوم باستخراج شهادة تسنين له وعمل جواز سفر إذا كان يرغب فى ذلك، فهى مسئولة عنه بعد الأسرة مباشرة(١).

على من تبنى طفل يجب عليه تربيته تربية حسنة حتى يستغنى بنفسه ولا يكون عبئاً على غيره فى مستقبل حياته، لأن القرآن الكريم حث على العناية على اليتامى والفقراء والمساكين، فاللقيط أولى بالعناية من هؤلاء، فهو فقد أمه وأباه وأسرته، فلمن تبناه أن يحسن إليه ويعوضه الحنان الذى فقده ويحبه ويعامله معاملة ابنه الحقيقى، لكن تبقى الأنساب كما هى حتى لا يعم الشر والفساد باختلاطها.

---

(١) شفاهة من دولة عثمان - دار الطفل - وزارة الشئون الاجتماعية والثقافية - الرعاية الاجتماعية - يوم ١٥ أكتوبر ١٩٩٨م.

المبحث الثانى

الظهار :-

الظهار عادة جاهلية قديمة يمارسها أهل الجاهلية فقد كانوا يُطَلِقُونَ به وهو من أشد أنواع الطلاق، لأنه يمثل الحرمة المؤبدة للمرأة. قال الشافعي:(سمعت من أهل العلم، أن أهل الجاهلية كانوا يطلقون بثلاث: الظهار، والإيلاء * والطلاق. فأقر الله عز وجل الطلاق طلاقاً وحكم فى الإيلاء بأن أمهل الولى أربعة أشهر ثم جعل عليه أن يفئ أو يطلق، وحكم فى الظهار بالكفارة، وأن لا يقع به طلاق)(١)

الآيات الواردة فى الظهار :-

١- قال تعالى فى محكم تنزيله :﴿مَّا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾(٢)

٢- ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾(٣)

معنى الظهار لغة :-

الظهار : أن يقول الرجل لإمرأته: (أنت على كظهر أمى، يقال : ظاهر من امرأته، وظهر الشئ أصله أن يحصل شئ على ظهر الأرض فلا يخفى(٤).

---

(١) محمد بن إدريس الشافعى - أحكام القرآن - دار الكتب العلمية بيروت - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م بدون طبعة ج ١/٢٣٤.

(٢) الأحزاب : ٤.

(٣) المجادلة : ٢.

(٤) الحسين محمد الراغب الأصفهانى - المفردات فى غريب القرآن - دار المعرفة - بيروت - بدون طبعة وتاريخ ص ٣١٨ - تحقيق محمد سيد كيلانى.

* الإيلاء : أن يحلف الرجل ألا يقرب امرأته أربعة أشهر فأكثر.

معنى الظهار في الإصطلام :-

(أصل الظهار مشتق من الظهر وذلك أن الجاهلية كانوا إذا ظاهر أحدهم من أمرأته قال لها :(أنت علىّ كظهر أمى)وكان الظهار عند الجاهلية طلاقاً فرخص الله لهذه الأمة وجعل فيه كفارة ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يعتمدونه فى جاهليتهم.(١)

سبب نزول آيات الظهار :-

١- عن عائشة قالت : (الحمدلله الذى وسع سمعه لسمع الأصوات فأنزل الله تعالى على النبىﷺ (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا)(٢)(٣).

٢- جاءت خويلة بنت ثعلبة* إلى رسولﷺ وكانت عند أوس بن الصامت** قالت :(دخل على ذات يوم وكلمنى بشئ فيه كالضجر فراودته فغضب فقال (أنت على كظهر أمى ثم خرج فى نادى قومه ثم رجع الى فراودنى عن نفسى، فامتنعت منه، فشادنى فشاددته فغلبته بما تغلب به المرأة الرجل الضعيف، فقلت كلا والذى نفس خويلة بيده لا تصل الى حتى يحكم الله تعالى فىّ وفيك بحكمه، ثم أتيت النبىﷺ أشكو ما لقيت، فقال : زوجك وابن عمك أتق الله واحسنى صحبته فما برحت حتى أنزل الله القرآن(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم - ٣٢١/٤.

(٢) البخارى - كتاب التوحيد باب قوله تعالى (وكان الله سميعاً بصيراً) حديث رقم ١٥- ج ٢١٠/٩

(٣) المجادلة : ١.

(٤) الواحدى - أسباب النزول - ٢٧٣ - ٢٧٤.

* خويلة بنت ثعلبة، وقيل خولة، وقيل خولة بنت حكيم، وقيل خولة بنت مالك بن ثعلبة بن أصرم بن فهر بنت ثعلبة، خذرجى أنصارى أخو عبادة بن الصامت، شهد بدراً والمشاهد كلها، توفى بأرض فلسطين عام ٣٤هـ وكان عمره ٧٢ سنة - أسد الغابة ١٧٢/١.

** أوس بن الصامت بن قيس ابن صرم بن فهر بن ثعلبة، خزرجى انصارى أخو عبادة بن الصامت شهد المشاهد كلها، توفى بفلسطين سنة ٣٤هـ وكان عمره ٧٢ سنة - أسد الغابة ١٧٢/١.

أقوال العلماء فى الظهار :-

(دلت الآيات الكريمة فى سورة الأحزاب وسورة المجادلة أن الظهار كان من العادات المتبقية فى الجاهلية ، وكان من أشد أنواع الطلاق حيث تثبت به الحرمة المؤبدة وتصبح الزوجة المظاهر منها أما كالأم من النسب، فأبطل الإسلام ذلك وإعتبره ضلالاً وبهتاناً).(١)

إن قول الرجل لزوجته (انت على كظهر أمى)، لا تصير هى أما بإجماع أهل العلم، وكان يسمى طلاقاً فى الجاهلية، لأنه كان يجوز للزوج أن يتزوج بها من جديد، أما فى الإسلام فكان يسمى ظهاراً ولا يحرم الوطء(٢).

(ولم يجعل الله سبحانه وتعالى لكم أيها الرجال نساءكم اللاتى تقولون لهن :(أنتن علينا كظهور أمهاتنا، أمهاتكم بل جعل ذلك من قبلكم كذباً وألزمكم عقوبة - كفارة لقولكم هذا - وكان الرجل فى الجاهلية وصدر الإسلام متى قال هذه المقالة لامرأته صارت حراماً عليه حرمة مؤبدة فجاء الإسلام ووضع هذا التأبيد، وجعل الحرمة مؤقتة حتى يؤدى كفارة الظهار لانتهاكه حرمة الدين، إذ حرم ما أحل الله له.(٣).

حكم الظهار وكفارته :-

إن الإقدام على الظهار من الزوجة حرام حرمة شديدة دل عليها قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ الْقَوْلِ وَزُوراً﴾(٤) فما صرح الله بأنه منكر وزور فحرمته شديدة. إذن فالظهار حراماً بالإجماع لأنه منكر من القول وزور حتى صرح بعض العلماء بأنه من الكبائر.(٥).

---

(١) الصابونى - روائع البيان. — ٦٠٣-٢ .

(٢) أنظر الرازى - مفاتيح الغيب ١٣/ ١٩٣.

(٣) المراغى - تفسير المراغى - ١٢٧/٢١.

(٤) المجادلة : ٢

(٥) أحمد الصاوى - بلغة السالك لأقرب المسالك - دار الفكر بيروت - بدون طبعة وتاريخ - ج١/٤٤٩.

نهى الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات أن تكون الزوجة أماً بقول الرجل، هى عليه كظهر أمه، ولكنه بقوله هذا حرمت عليه.(١)

وقول الرجل أنت على كظهر أمى لا يحتمل غير الظهار سواء نوى أو لم ينوى ولا يكون طلاقاً أو إيلاء لأنه صريح فى الظهار(٢).

إن الله سبحانه وتعالى حرم الظهار حرمة مؤقتة أى أن هذه الحرمة لم تكن حرمة نهائية بل جعل منتهاها الكفارة، فبعد الكفارة تحل الزوجة لزوجها المظاهر منها.

ثانياً: كفارة الظهار :-

قال تعالى :﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ* فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٣).

قال القرطبى فى هذه الأيات: (جعل الله عز وجل فى كفارة الظهار تحرير رقبة لمن كان مؤسر لا يكفر عنه إلا تحرير رقبة إذا كان مؤسراً من قبل أن يتماسا فإن لم يكن مؤسراً فصيام شهرين متتابعين، لا يصلح له إلا الصوم إذا كان معسراً، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً، وذلك كله قبل الجماع)(٤).

هذه هى حكمة الله فى التخفيف والتسيير على الأمة إن الله عز وجل لم يكلف هذه الأمة إلا بما تطيق قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٥) فالمسلمون اليوم مبتعدين كل البعد عن قول الظهار لأنهم ملتزمون بما شرعه الله سبحانه وتعالى لهم من أحكام.

---

(١) ينظر ابن العربى - أحكام القرآن - ١٠٥٤/٣.

(٢) اسماعيل حقى البروسى - تفسير روح البيان - دار الفكر - ١٣٥/٧ بدون طبعة وتاريخ.

(٣) المجادلة : ٤،٣.

(٤) الطبرى - الجامع لأحكام القرآن - ٥/١٧ -

(٥) البقرة : ٢٨٦.

المبحث الثالث

التوريث بالحلف والدين

إن التشريع بين المهاجرين والأنصار بالإرث، لم يكن من العادات الجاهلية التى كانت سائدة عند العرب، وإنما هو تشريع استحدثه الإسلام، أى بمعنى أنه تشريع سنه رسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار، هؤلاء المهاجرين الذين هاجروا فراراً بدينهم الى المدينة، كما أنهم قد تركوا الغالى والنفيس وراءهم بمكة بعد أن لاقوا أصنافاً من الأذى وألواناً من العذاب، وحرمانهم من كل شئ جزاءً على اتباعهم سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه.

سن رسول الله ﷺ هذا التشريع بين المهاجرين والأنصار، بأن يرث كل مهاجر أخاه الأنصارى الذى يواخيه به رسول الله ﷺ . فالإرث هنا بين المهاجرين والأنصار بخلاف الهجرة لا يحق لأحد أن يرث أنصارى أو مهاجرى، أى أنه ﷺ جعل الأخوة فى الدين هى الوارث الحقيقى، وكان ذلك فى بداية تكوين دولة المدينة الناشئة. وبعد أن توطد الإسلام وصار الدين يملأ الآفاق وفتح المسلمون مكة، ألغى الله سبحانه وتعالى هذا التشريع، فجعل الوراثة بالرحم والنسب لا بالهجرة والدين، أى أن أصحاب القرابات هم أحق بالميراث من غيرهم قال الله تعالى :﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾(١) وقال أيضاً ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٢)

أقوال العلماء فى الآيات :-

جعل الله سبحانه وتعالى التوارث بالدين فى بداية تكوين الدولة الإسلامية الوليدة، فآخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار مواخاة تكلم عنها التاريخ حتى قال تعالى فى الأنصار :﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٣)

---

(١) الأحزاب: ٦ (٢)- الأنفال : ٧٥ (٣) الحشر : ٩

إن نظام المؤاخاة لم يكن جاهلياً وإنما هو نظام استحدثه الإسلام بعد الهجرة لمواجهة حال المهاجرين الذين تركوا أموالهم وأهليهم فى مكة، فآخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وقام هذا الإخاء مقام أخوة الدم، وقد كان يشمل كل الإلتزامات التى بين الأخوة بما فيها التوارث. وكان هذا التشريع ضرورياً لحفظ الجماعة المسلمة وتماسكها فى ظروف بداية تكوين دولة الإسلام، بعد أن ترك المهاجرون كل ما لديهم فى مكة ولجأوا إلى المدينة فراراً بدينهم. أقر رسول ﷺ نظام الأخوة فكانت نعم الأخوة، فقد قابل الأنصار المهاجرين بكل ترحاب واستقبلوهم فى دورهم وفى قلوبهم وفى أموالهم وتنافسوا فيهم وشاركوهم فى كل شئ عن رضا نفس وطيب خاطر إذ تمكنت فيهم العقيدة وكانت هى الرباط الأول الذى كان يربطهم بالمهاجرين.(١)

(قام المهاجرون الأولون مع أخوانهم الأنصار بتأسيس الدولة الإسلامية وبنائها لبنة لبنة حتى تكامل البنيان وثبتت الأركان(٢).

ومن حكمة الله سبحانه وتعالى أن ربط بين أفراد المجتمع برباط العقيدة والدين الإسلامى وعزز هذا الرباط بالأخوة الإسلامية التى هى مظهر القوة والعزة، وقد كان التوارث فى بداية تكوين الدولة الإسلامية الناشئة بسبب تلك الرابطة، وسبب الهجرة والنصرة، فكان الإنصارى يرث أخاه المهاجرى ويرث المهاجرى أخاه الأنصارى حتى توثقت هذه الرابطة فأصبحت رابطة الأخوة الإسلامية فيهم أقوى من رابطة النسب ورابطة الدين أقوى من رابطة الدم وأصبح المسلمون كالجسد الواحد(٣).

---

(١) أنظر سيد قطب - الظلال - ٢٨٢٧/٦.

(٢) محمد عبد القادر أبو فارس - تفسير سورة الأنفال - مكتبة المنار - الأردن - دون طبعة وتاريخ ص ١٨٣.

(٣) أنظر الصابونى - روائع البيان - ج ٢٨٢/٢.

قال ﷺ :(ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا إشتكى عضواً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)(١).

وعن أبى موسى قال : قال رسول الله ﷺ (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)(٢).

دل الحديث أن المؤمنين بعضهم يتولى أمر بعض فهم كتلة واحدة يتعاونون فى كل شئ من أمور حياتهم، وكل حقوقهم ومصالحهم واحدة تربطهم أسمى عقيدة وأغلى كلمة، كلمة التوحيد لا اله إلا الله محمد رسول الله ﷺ .

بعد استقرار الوضع فى المدينة، وتمكن الإسلام وفتح الله مكة، زال وجوب الهجرة وغلب حكم الإسلام على البلاد، نسخ الله سبحانه وتعالى التوارث بالحلف والهجرة،وكان ذلك بعد أن تقوى الإيمان وتوطدت دعائمه.(٣).

الحكمة من التشريع :-

إن الله سبحانه وتعالى لم يشرع تشريعاً على عباده إلا إذا كان فيه مصلحة لهم، إن هذا التشريع يؤدى إلى الألفة والوئام، كما أن هذا التشريع هو الذى تدور عليه المصلحة وتدوم به الألفة، وأن جعل الإرث وغيره من لوازم القرب بالأخوة الإسلامية أولى لما فى ذلك من تكثير القلة والنصرة للمساكين وجمع شتاتهم، وجعل ما بينهم من الأخوة كلحمة النسب. أما بعد أن فتح الله أغلب البلاد وثبت الدين قواعده وأركانه وولى الكفر بسلطانه إلى غير رجعة أزال الله سبحانه وتعالى هذا التوارث وجعل أولو الأرحام أحق بالتوارث من غيرهم(٤).

---

(١) البخارى – كتاب الأدب – باب رحمة الناس بالبهائم – ١٧/٨ من حديث حديث النعمان بن بشير رقم ٤٠.

(٢) مسلم – كتاب البر والصلة والآداب – باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم – رقم ٢٥٨٥ – ج ١٩٩١/٤م

(٣) أنظر محمد رشيد رضا – تفسير المنار – ١٠/ ١٠٥.

(٤) أنظر البقاعى – نظم الدرر – ٣٤٩/٨.

٢- (قطع الله عز وجل التوارث بالحلف والنصرة، وجعله للأقارب لطفاً منه وحكمة. فإن الأمر لو استمر على العادة السابقة لحصل من الفساد والشر والتحليل لحرمان الأقارب من الميراث شئ كبير)(١).

٣- إن حكمة الله سبحانه وتعالى اقتضت بأن تجعل التوارث بالدين والهجرة تمكيناً لدولة الإسلام ولدين الله الذى ارتضاه لهذه الأمة، ولو لم يكن هذا التشريع لشعر المهاجرون فيها بالضعف وذكريات الماضى لما تركوا وراءهم من أموال وأهل ومرتع صبا.

استفاد المسلمون من هذا التشريع الذى سنه الرسول ﷺ فى إيواء المهاجرين من الدول التى تجد فيها الأقليات المسلمة المضايقة من بعض حكامها، فأمرهم الله عز وجل بالهجرة إلى البلاد المسلمة الآمنة من إستبداد الحكام قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾(٢).

آوى المسلمون هؤلاء المهاجرين فى ديارهم فوجدوا النصر والعون، وشملت هذه الإعانة إمدادهم بالمال وتيسير كل سبل الحياة لهم. وكان السودان من البلدان التى قامت فيها تلك الأخوة المسلمة، ففتح أبوابه لكل من قَدِمَ إليه من تلك البلدان وطبق نظام الأخوة الإسلامية، فالمسلمين كلهم أخوة فالإسلام وطن الجميع، فبلاد الإسلام واحدة لا تفصلها قوميات أو دول فالوطن هو الإسلام.

---

(١) عبد الرحمن ناصر السعدى - تيسير الكريم الرحمن - ص ١٣٧.

(٢) النساء: ١٠٠.

إن دعوة الرجل لابن لم يلده يا بنى عن طريق العمد، وإلحاقه بنسبه هذه دعوة لا يقبلها الله تعالى، وأيضاً قول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمى قول لا حقيقة فيه، لأن الزوجة لا تصير أماً بمجرد قول جرى على اللسان، إذ أن الأمومة رباط مقدس وشفقة وحنان، كذلك الأبوة فهى ليست لفظ يردد على الألسنة لكنها رباط لحم ودم ومودة، لهذا حذر الله سبحانه وتعالى عباده بأن يقولوا مثل هذا القول بل أمرهم بأن يتقوا الله ويقولوا قولاً عدلاً وصدقاً وقاصداً إلى الحق.

قال تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾(١).

قال ابن عباس رضى الله عنهما : (المتقى من يتقى الشرك والكبائر والفواحش وهو مأخوذ من الاتقاء وأصله الحجز بين شيئين ومنه يقال:اتقى بزمته أى جعلها حاجزاً وبين نفسه وبين ما يقصده. وقال عمر بن عبد العزيز* : (التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله، فما رزق بعد فهو خير إلى خير وقيل هو الإقتداء بالنبى ﷺ.(٢).

فمعنى اتقاء الله تعالى اتقاء عذابه وخوف عقابه، وإن عذاب الله تعالى يكون باجتناب ما نهى، واتباع ما أمر وذلك يحصل بالخوف من العذاب(٣).

إن من يتقى الله سبحانه وتعالى ويصون نفسه من كل ما يضر ويؤذى فهو على نور من ربه، لأنه يفعل ما أمره به عز وجل وينتهى عما نهاه عنه تبارك وتعالى، فذلك هو الشخص الذى يتقى الله حق تقواه وإنه يقول قولاً سديداً صواباً قاصداً الى الحق، ويقول قولاً عدلاً وصدقاً لا جور فيه فذلك هو الذى يتقى الله، لهذا قرن الله سبحانه وتعالى القول السديد بالتقوى.

---

(١) الأحزاب : ٧٠.

(٢) البغوى – معالم التنزيل – ٦٠/١.

(٣) محمد رشيد رضا – المنار ١٢٥/١.

* عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية... ابن كلاب، الإمام الحافظ العلامة المجتهد الخليفة الزاهد الراشد، كان من أئمة الإجتهاد وكان ثقة مأموناً له فقه وعلم، ولد سنة ٦٣هـ وتوفى سنة ١٠١ هجرية – سير أعلام النبلاء ١١٤/٥.

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾(١) وقال :﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾(٢).

قال الألوسى فى معنى القول السديد: (قولوا قولاً سديداً فى كل ما تأتون وما تذرون لا سيما فى ارتكاب ما يكرهه تعالى فضلاً عما يؤذى الله وحبيبه ﷺ وقولوا فى كل شأن من الشئون قولاً سديداً قاصداً متوجهاً إلى هدف الحق(٣).

يجب على المسلمين أن يراقبوا الله فى حفظ ألسنتهم وتسديد قولهم، فإن من قال قولاً صواباً صان نفسه من كل مكروه ومن اتقى الله جعل الله له مخرجاً من كل سوء. قال تعالى:﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً﴾(٤) وقال :﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾(٥).

إن تقوى الله عز وجل رأس كل خير فمن اتقى الله وكان عمله وفق لما أمر الله، وصان نفسه عن كل ما يؤذى الآخرين، فهذا هو الذى يرجو ثواب الله، ومن فعل ذلك أعطاه الله كنزاً لا يرد، إذ أن الله عز وجل يقبل حسناته ويثيبه عليها ويغفر له ذنوبه ويكفر عنه سيئاته، فهذا كله وغيره كثير جزاءً من اتقى الله وقال قولاً سديداً. وفقنا الله للسداد فى القول الذى به صلاح الأعمال والتوفيق لعبادة الله وغفران الذنوب الماضية.

ربنا اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

---

(١) الأحزاب : ٧٠.

(٢) النساء : ٩.

(٣) روح المعانى - ٢٢/٩٥.

(٤) الطلاق : ٢.

(٥) الطلاق : ٤.

الخاتمـــة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات والصلوات المباركات الطيبات على من كان خلقه القرآن خاتم الرسالات سيدنا محمدﷺ الذى أُنزِلَ عليه القرآن هدى للبشرية ورحمة للإنسانية.

وبعد: فهذه خلاصة هذا البحث المتواضع أذكر فيها ما توصلت اليه من نتائج وتوصيات.

أولاً : نتائج البحث :-

١- إن القرآن الكريم تناول العبادات والمعاملات لمعالجة قضايا المجتمع ومشكلاته، كما إن هذه السورة تتضمن مجموعة من الآداب التى تهدف الى بناء مجتمع إسلامى فاضل.

٢- على المسلمين * طاعة الله ورسوله وحبهما الذى ينتج من:-

أ) الإقتداء برسول اللهﷺ والنهى عن إيذائه لأنه القدوة الحسنة التى يجب على المسلمين أن يتأسوا به، وأن لا يؤذوا رسولهﷺ لأن من آذى رسول الله فقد آذى الله عز وجل، وعد الله من آذى رسوله بالخلود فى النار والطرد من رحمته التى وسعت كل شئ.

ب) إن من علامات حبهﷺ كثرة الصلاة والثناء عليه، لأن الصلاة على رسول اللهﷺ هى من أجل الأعمال وأحبها الى الله عز وجل. فمن صلى على رسول الله مرة واحدة صلى الله عليه عشر مرات كما ورد فى الحديث الشريف وبها ينال المرء أعلى الدرجات وأرقى المراتب.

٣- على المسلم أن لا يدخل بيوت المسلمين إلا بعد أن يأذن له صاحب المنزل بالدخول، وإلا فعليه بالرجوع إن لم يؤذن له.

---

* نص الحديث فى صفحة (٣٩).

٤- عدم إطالة المكث فى البيوت بعد إجابة دعوة الداعى إلى الوليمة وغيرها، لأن فى إطالة المكث حرج لصاحب المنزل لأنه يريد قضاء بعض حوائجه فى منزله الذى جعله الله له سكناً آمناً ، وعلى المسلم قضاء وقته فيما يفيد وينفع لا فى الجلوس والحديث والسمر فى منازل الآخرين.

يرشدنا الله سبحانه وتعالى لهذا الأدب الذى يجافيه الكثير من الناس.

٥- أدب الله تبارك وتعالى نساء الرسول ﷺ ونساء المسلمين بجملة آداب منها التستر والإحتشام، وذلك بلبس الملابس الساترة الفضفاضة التى تجعل النساء أكثر حشمة ووقاراً.

٦- نهى الله عز وجل المسلمين عن ممارسة بعض العادات والتقاليد التى كانت سائدة فى المجتمع الجاهلى وصدر الإسلام منها :-

أ) عدم إلحاق ابن الغير بنسب الإنسان.

ب) عدم ممارسة الظهار وهو أن يقول الرجل لامرأته:(أنت على كظهر أمى).

وعد الله تبارك وتعالى هذا القول بأنه زور وبهتان لا حقيقة له وإنما هو قول باللسان ولا تحرم به امرأة.

ج) أزال الله عز وجل تشريعاً كان بين المهاجرين والأنصار وهو الارث بالإخاء بينهم وكان ذلك فى بداية تأسيس الدولة الإسلامية.

ثانيا : توصيات البحث :-

أوصى الأخوة الباحثين بالآتى :-

١- تناول هذه السورة بمزيد من الدراسة والبحث لأهميتها لأن من إطلاعى عليها وجدت بها مواضيع عدة تصلح لأن تكون بحثاً علمياً. منها:-

أ) العقيدة فى سورة الأحزاب.

ب) أخبار السيرة فى غزوة الأحزاب وغزة بنى قريظة.

ج) الأحكام الشرعية فى سورة الأحزاب .

د) حياة الرسول ﷺ مع زوجاته وفى بيته .

د) حمل الإنسان لأمانة التكليف ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾(١)

وإلى غير ذلك من المواضيع التي تحدثت عنها السورة وهي جَدُّ كثيرة.

٢- الإهتمام بمشكلات العصر وإيجاد حلول لها من خلال القرآن الكريم.

٣- إهتمام طلاب العلم وخاصة طلاب قسم التفسير بالتفسير التحليلي لبعض المواضيع، والتفسير الموضوعي الذي يعالج موضوعاً واحداً.

٤- الإهتمام بالآداب التي تناولها القرآن وتدعو إلى التحلي بمكارم الأخلاق ونبذ عادات الجاهلية.

بهذا أصل الى ختام بحثي المتواضع الذي أجهدت فيه نفسي وأعملت فكري لأصل إلى مراد ربي حسب طاقتي، فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي. وأسال الله أن يجعله صالحاً وأن يكون لوجهه خالصاً، وأصلي وأسلم على معلم الإنسانية سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه الذي أقاموا الدين وكانوا به هداة مهتدين ونحن على إثرهم سائرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) الأحزاب: (٧٢).

ملحق التراجم :-

ص١٨ عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف، وهو الذى باع دار الندوة من معاوية بمائة ألف، وهو معدود فى المؤلفة قلوبهم - أسد الغابة - ٣/٥٧٠.

ص٢٦ أبو عبيدة محمد بن زياد الإعرابى الهاشمى مولاهم ولد بالكوفة سنة ١٥٠هـ، قيل عنه زاهد ورع صدوق، حفظ ما لم يحفظه غيره، له مصنفات أدبية كثيرة، مات سنة ٢٣١هـ - سير أعلام النبلاء ١٠/٦٨٧.

ص٢٦ جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسين البكرى البغدادى الفقيه الحنبلى الواعظ، كان علامة عصره وإمام وقته، صنف فنون عديدة ، ولد سنة ٥١٠هـ وتوفى سنة ٥٩٧هـ - وفيات الأعيان ٣/١٤٠.

ص٢٧ مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكى المقرئ المفسر، الإمام المخزومى، ولد سنة ٢١هـ فى خلافة عمر بن الخطاب، توفى بمكة سنة ١٠٤هـ وهو ساجد وكان عمره ٨٣ سنة - طبقات المفسرين - ٢/٣٠٥.

ص٢٧ محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعى الفقيه الحنبلى، ولد سنة ٦٩١هـ ، تفقه فى المذهب الحنبلى برع وأفتى، وقد امتحن وأوذى مرات، له تصانيف عديدة توفى سنة ٧٥١هـ - طبقات المفسرين.

ص٢٧ أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى الفقيه المقرئ حدث عن أخيه عيسى والشعبى وعطاء وغيرهم، وكان أبوه من كبار التابعين، مات سنة ١٤٨هـ - تذكرة الحفاظ الذهبى ١/١٧١.

ص٣٠ أبو مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن الخذرج المعروف بالبدرى، لأنه نزل أول ماء بدر، شهد العقبة ولم يشهد بدراً وقيل شهدها، سكن الكوفة واختلف فى وفاته فقيل مات سنة ٤١هـ أو ٤٢هـ - أسد الغابة - ٥/٢٨٦.

ص٣٠ أبو سعيد الخدرى سعد بن مالك بن سنان الخذرجى الأنصارى المدنى كان من علماء الصحابة، كان أبوه من شهداء أحد، عاش ٨٦ سنة، روى أحاديث كثيرة ويروى أنه كان من أهل الصفة، مات سنة ٧٤هـ - تذكرة الحفاظ ٤٤/١.

ص٣٠ سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الخذرجى الأنصارى سيد الخزرج يكنى ابا ثابت كان نقيب بنى مساعدة، قيل شهد بدر كان جواداً كريماً - مات سنة ١٤ هـ وقيل غير ذلك وكانت وفاته ببصرى الشام - أسد الغابة ٢٠٤/٢.

ص٣٠ بشير بن سعد بن الجلاص الخذرجى والد النعمان ، شهد بدراً وهو أول من بايع أبوبكر الصديق من الأنصار، مات سنة ١٣هـ وقيل أنه قُتِلَ سنة ١٢ هـ منصرفاً من اليمامة - تهذيب التهذيب - ٤٠٧/١.

ص٣١ على بن أبى طالب بن المطلب ابن عم النبىﷺ أول من أسلم من الصبيان، شهد المشاهد كلها إلا تبوك ، قتل شهيداً وكان عمره ٥٧ سنة وقيل ٥٨ سنة - أسد الغابة - ٥٨٨/٣.

ص٣١ عبد بن مسعود بن غافل بن حبيب، أبو عبد الرحمن الهزلى، كان سادس ستة من أوائل المسلمين كان من نبلاء الفقهاء والمقرئين، حفظ من رسول اللهﷺ سبعين سورة توفى سنة ٣٢هـ -أسد الغابة ٢٨٠/٣ - تذكرة الحفاظ ١٣/١.

ص٣١ موسى بن طلحة بن عبيد الله بن عثمان أبو عيسى التيمى المدنى ثم الكوفى، روى عن عبد الله بن عمرو وعن الأعمش، توفى سنة ١٠٤هـ - طباق القراء ٣٢٠/٢.

ص٣١ زيد بن خارجة بن زيد أبى زهير بن مالك بن امرئ القيس بن ثعلبة الأنصارى الخذرجى شهد بدراً - الإصابة - ٥١/٤.

ص٣٣ أبى طلحة الأنصارى اسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصارى، شهد العقبة وكل المشاهد، قيل أنه توفى بالمدينة سنة ٣١هـ وقيل ٣٤هـ وهو ابن ٧٠ سنة - أسد الغابة - ١٨١/٥.

ص٣٣ عبد الله بن أبي طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الخدرجي الأنصاري وهو أخو أنس بن مالك من أمه، شهد صفين مع علي، وقتل بفارس شهيداً وقيل مات بالمدينة، أسد الغابة - ١٨٠/٣.

ص٣٣ عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب العدوي المدني روى عن أبيه وعم ابيه عبد الله بن عمر وغيرهم - تهذيب التهذيب ٤٢/٥.

ص٣٣ فضاله بن عبيد الله بن نافذ بن قيس بن مالك بن الأوس أبو محمد أسلم ولم يشهد بدراً وشهد أحد فما بعدها ولاه معاوية قضاء دمشق، مات سنة ٥٣هـ في خلافة معاوية - الإصابة -/٢١٠.

ص٣٣ عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي وأمه ثقفية، يكنى أبا عبد الرحمن، كان من أشراف قريش أسلم يوم الفتح، ولاه رسول الله ﷺ الجند في اليمن ومخالفيها، فلما حوصر عثمان جاء لينصره فسقط عن راحلته بقرب مكة فمات - أسد الغابة ١٢٨/٣.

ص٣٣ أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن مالك بن النجاري الأنصاري، كان سيد القراء، شهد المشاهد كلها، جمع بين العلم والعمل توفي سنة ٢٠ هـ وقيل ٢٢هـ ولما توفي قال عمر مات سيد المسلمين، وكان يكنى أبو المنذر وأبو الطفيل - الإصابة ١٦/١. - تذكرة الحفاظ - ١٣/١.

ص٣٤ عبد الله بن عمر بن العاص بن وائل بن كعب القرشي السهمي يكنى ابا محمد وقيل أبو عبد الرحمن، أسلم قبل أبيه كان فاضلاً عالماً بالقرآن - توفي سنة ٦٣هـ وقيل ٦٥هـ بمصر وكان عمره ٧٢ سنة - أسد الغابة ٢٤٥/٣.

ص٣٤ أوس بن أوس قيل هو أوس بن حذيفة بن أبي سلمة عميرة بن عوف توفي سنة ٥٩هـ - الإصابة ٨٤/١.

ص٣٤ أبو الدرداء عويمر بن زيد ويقال عويمر بن ثعلبة ويقال ابن عبد الله الأنصاري الخدرجي ، حكيم هذه الأمة قيل تأخر إسلامه إلى يوم بدر ثم شهد أحد، وكان عالم أهل الشام ومقرئ أهل دمشق مات سنة ٣٢هـ - تذكرة الحفاظ ٢٤/١.

ص٣٥ الحسين بن علي أبي طالب سبط النبي ﷺ وسيد شباب أهل الجنة، توفي شهيداً بكربلاء سنة ٦١هـ - طبقات القرآء - ٢٤٤/١.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	أ
شكر وتقدير	ب
المقدمة	ج
تمهيد	١
التعريف بالسورة	١
سبب نزولها	٣
مناسبتها لما قبلها	٣
مناسبتها لما بعدها	٦
موضوع السورة وأغراضها	٧
الفصل الأول : طاعة النبى ﷺ وحبه	٩
الإقتداء بالنبى ﷺ والنهى عن إيذائه	١١
معنى أسوة فى اللغة والإصطلاح	١١
أقوال العلماء لتفسير الآية	١٢
حكم الإئتساء بالرسول ﷺ	١٧
نماذج من إقتداء الصحابة بالنبى ﷺ	١٧
النهى عن إيذاء النبى ﷺ	١٩
سبب نزول الآية	١٩
أقوال العلماء فى تفسير الآية	١٩
نوع الأذى الذى تلقاه الرسول ﷺ	٢٠
جزاء من آذى الرسول ﷺ	٢٢
المبحث الثانى : الصلاة والسلام عليه	٢٦
معنى الصلاة فى اللغة	٢٦
معنى الصلاة فى الاصطلاح	٢٧
سبب نزول الآية	٢٨

أقوال العلماء فى تفسير الآية ٢٨
صفة الصلاة على النبى ﷺ ٣٠
فضل الصلاة على النبى ﷺ ٣٢
حكم الصلاة على النبى ﷺ ٣٦
الفصل الثانى : العلاقات الاجتماعية السليمة ٣٧
المبحث الأول: آداب الزيارة والإستئذان ٣٨
السنة فى الإستئذان ٤٠
آداب دخول بيت النبى ﷺ ٤١
سبب نزول الآية ٤١
الآداب التى تضمنتها الآية ٤٣
المبحث الثانى : الحجاب ٤٧
معنى الحجاب فى اللغة والاصطلاح ٤٨
الآيات الواردة من الكتاب العزيز ٤٨
سبب نزول الآيات ٥٠
الأدلة من السنة ٥١
معنى الجلباب فى اللغة ٥٣
معنى الجلباب فى الاصطلاح ٥٤
التبرج فى اللغة والاصطلاح ٥٤
أقوال العلماء فى آيات الحجاب ٥٥
صفة حجاب المرأة المسلمة ٦٠
أقوال العلماء فى كشف الوجه وستر ٦٣
الفصل الثالث: عادات اجتماعية أبطلها الاسلام ٦٦
المبحث الأول: التبنى ٦٧
تعريف التبنى ٦٧
الآيات الواردة فيه ٦٨
سبب نزول الآيات ٦٩

معنى المفردات ٦٩
أقوال العلماء فى تفسير الآية ٧٠
حكم التبنى ٧٧
الآثار الناجمة عن التبنى ٧٨
التبنى فى المجتمع الإسلامى ٨٠
اللقيط فى الفقه ٨٠
التبنى للقطاء ٨١
المبحث الثانى : الظهار ٨٢
الآيات الواردة فى الظهار ٨٢
سبب نزول الآيات ٨٣
أقوال العلماء فى الظهار ٨٤
حكم الظهار وكفارته ٨٤
المبحث الثالث : التوريث بالحلف والدين ٨٦
أقوال العلماء فى الآيات ٨٦
الحكمة من التشريع ٨٨
الخاتمة ٩٢
نتائج البحث ٩٢
توصيات البحث ٩٣
ملحق التراجم ٩٥
المصادر والمراجع ٩٨
فهرس الموضوعات ١٠١
فهرس المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً التفسير

١- إبراهيم بن عمر البقاعى - نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور - دار الكتاب الإسلامى القاهرة - ط (٢) ١٣١٤هـ ١٩٩٢م.

٢- أبو الأعلى المودودى - تفسير آيات الحجاب - مكتبة الأنصار - الرياض ط(٢) ١٤٠٤هـ.

٣- أحمد بن أبى بكر الجصاص - أحكام القرآن - دار الفكر - بيروت - بدون طبعه وتاريخ.

٤- أحمد الصاوى - حاشية الصاوى على تفسير الجلالين - دار إحياء التراث العربى - بيروت - بدون طبعة وتاريخ.

٥- أحمد مصطفى المراغى - تفسير المراغى - مطبعة مصطفى البابى الحلبى - القاهرة ط (٥) ١٣١٤هـ - ١٩٧٤م.

٦- إسماعيل حقى البروسى - تفسير روح البيان - دار الفكر - بيروت - بدون طبعه وتاريخ.

٧- جلال الدين السيوطى - الدر المنثور فى التفسير بالمأثور - دار المعرفة - بيروت بدون طبعة وتاريخ.

٨- الحسين بن مسعود البغوى - معالم التنزيل - دار طيبة - الرياض - ١٤١١هـ - بدون طبعة وتاريخ - تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرون.

٩- سعيد حوى - الأساس فى التفسير - دار السلام القاهرة ط (١) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٠- سيد قطب - فى ظلال القرآن - دار إحياء التراث العربى - بيروت - ط (٥) ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.

١١- شهاب الدين السيد محمد الألوسى - روح المعانى فى تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى - دار إحياء التراث العربى - بيروت ط(٤) ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
١٢- شوقى ضيف - الوجيز فى تفسير القرآن الكريم - دار المعارف - القاهرة بدون طبعة وتاريخ.
١٣- صديق بن حسن بن على الحسين القنوجى - فتح البيان فى مقاصد القرآن - دار إحياء التراث الإسلامى - قطر ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م بدون رقم وطبعة.
١٤- طنطاوى جوهر - الجواهر فى تفسير القرآن الكريم - مطبعة مصطفى البابى الحلبى - القاهرة ط(٢) ١٣٥٠هـ.
١٥- عبد الحق بن عطية الأندلسى - المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز - دار العلوم الدوحة ط (١) ١٤٠٧هـ ١٩٨٨م.
١٦- عبد الرحمن ناصر السعدى - تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان - دار المدنى - جده - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٧- عماد الدين أبى الفداء اسماعيل بن كثير - تفسير القرآن العظيم - دار احياء الكتب العربية - القاهرة - بدون طبعة وتاريخ.
١٨- فخر الدين الرازى - مفاتيح الغيب - دار الفكر - بيروت - ط(٣) ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
١٩- مجاهد بن جبر - تفسير مجاهد - مجمع البحوث الإسلامية - اسلام اباد - بدون طبعة وتاريخ.
٢٠- محمد الأباصيرى خليفة - تفسير سورة الأحزاب - مكتبة المنار الإسلامية - الكويت ط(١) ١٤٥هـ - ١٩٨٥م.
٢١- محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى - الجامع لأحكام القرآن - دار الكاتب العربى - القاهرة ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م بدون رقم طبعه.
٢٢- محمد بن إدريس الشافعى - أحكام القرآن - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥هـ ١٩٨٠م بدون رقم.

٢٣- محمد بن جرير الطبرى - جامع البيان فى تفسير القرآن - دار الفكر بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م بدون رقم وطبعه.
٢٤- محمد جمال الدين القاسمى - محاسن التأويل - دار الفكر - بيروت ط(٢) ١٣٩٨هـ ١٩٨٧م.
٢٥- محمد حسين الطباطبائى - الميزان فى تفسير القرآن - دار الكتب الإسلامية - طهران ١٣٦٢هـ بدون رقم طبعة.
٢٦- محمد رشيد رضا - تفسير المنار - دار المعرفة - بيروت - ط(٢) بدون تاريخ.
٢٧- محمد عبد القادر أبو فارس - تفسير سورة الأنفال - مكتبة المنار - الأردن - بدون (طبعه وتاريخ).
٢٨- محمد بن عبد الله بن العربى - أحكام القرآن. دار الفكر - بيروت - طبعة جديدة تحقيقاً على محمد البجاوى
٢٩- محمد بن على الشوكانى - فتح القدير - دار الحديث - القاهرة - ط(١) ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٣٠- محمد على الصابونى :-
أ) روائع البيان فى تفسير آيات القرآن - دار احياء التراث العربى - بيروت - بدون (طبعه وتاريخ).
ب) صفوت التفاسير - دار القرآن الكريم - بيروت ط(١) ١٤٠٢هـ - ١٩٨٧م.
٣١- محمد محمود حجازى - التفسير الواضح - دار الجيل - مصر ط(٤) ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م.
٣٢- محمد نورى الجاوى - التفسير المنير لمعالم التنزيل المسفر عن وجوه محاسن التأويل - دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ ١٩٨١م - بدون رقم وطبعه.
٣٣- محمد بن يوسف أبى حيان - البحر المحيط - دار الفكر - بيروت - ط(٢)١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٣٤- محمود بن عمر الزمخشرى - الكشاف فى حقائق التنزيل - دار الفكر - بيروت بدون طبعه وتاريخ.
٣٥- نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين النيسابورى - غرائب القرآن ورغائب الفرقان - مطبعة مصطفى البابى الحلبى - القاهرة - ط(١) ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.

ثالثاً : علوم القرآن :-

١- عبد الفتاح القاضى - أسباب النزول عن الصحابة والمفسرون - دار الندوة - بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م - بدون رقم طبعه.

٢- على بن أحمد الواحدى - أسباب النزول - مؤسسة الحلبى - القاهرة ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م بدون رقم طبعه.

رابعاً : كتب السيرة :-

١- عبد الملك بن هشام - السيرة النبوية - مؤسسة علوم القرآن - بيروت بدون طبعة وتاريخ - تحقيق مصطفى السقا وآخرون.

خامساً : كتب الحديث :-

٢- أحمد بن شعيب النسائى - سنن النسائى - مطبعة مصطفى الحلبى - القاهرة ط(٥) ١٣٨٣هـ - ١٩٨٣م.

٣- أحمد بن على بن حجر العسقلانى - فتح البارى شرح صحيح البخارى - دار الإفتاء والإرشاد والدعوة - جدة - بدون (طبعة وتاريخ).

٤- سليمان بن الأشعث السجستانى أبو داؤد - سنن.أبو داؤد - دار الحديث - بيروت ط(١) ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.

- محمد بن إسماعيل البخارى - صحيح البخارى - المكتبة الثقافية - بيروت - بدون (طبعه وتاريخ).

- محمد بن على الشوكانى - نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار - دار الجيل - بيروت - ١٩٧٣م بدون رقم طبعة.

- محمد بن عيسى الترمذى - سنن الترمذى - دار احياء التراث العربى - بيروت بدون (طبعه وتاريخ).

محمد بن يزيد القزوينى ابن ماجه - سنن ابن ماجه - دار احياء التراث العربى - بيروت - بدون (طبعه وتاريخ).

٨- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري - صحيح مسلم - دار الفكر - بيروت - بدون (طبعه وتاريخ).

٩- ابن عدى الجرجانى - الكامل فى ضعفاء الرجال - دار الفكر بيروت - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

سادساً : كتب الفقه :-

١- أحمد الصاوى - بلغة السالك على أقرب المسالك - دار المعارف - القاهرة - بدون (طبعه وتاريخ).

٢- أحمد بن محمد بن احمد الدردير - الشرح الصغير على أقرب المسالك - دار الفكر - بيروت بدون (طبعه وتاريخ).

٣- سيد سابق - فقه السنة - دار الكتاب العربى - بيروت ط(٨) ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٤- محمد بن إدريس الشافعى - الأم - دار المعرفة - بيروت ط(٢) ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

٥- محمد أمين (ابن عابدين) حاشية رد المحتار على الدر المختار - مطبعة مصطفى الحلبى - القاهرة - ط(٢) ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

سابعاً : معاجم اللغة العربية :-

١- إبراهيم أنيس وآخرون - المعجم الوسيط - دار إحياء التراث العربى - قطر ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م - بدون رقم طبعة.

٢- أبى إسحاق إبراهيم بن السرى الزجاج - معانى القرآن وإعرابه - عالم الكتب - بيروت ط(١) ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣- أحمد فارس بن زكريا - معجم مقاييس اللغة العربية - دار الكتب العلمية - ايران - (بدون طبعة وتاريخ) تحقيق عبد السلام محمد هرون.

٤- أحمد بن منظور - لسان العرب - دار احياء التراث العربى - بيروت - ط (١)١٤١٦هـ - ١٩٩٦م - طبعة جديدة ومحققة.

٥- إسماعيل بن حامد الجوهرى - الصحاح - دار العلم للملايين - بيروت ط(٣) ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م تحقيق أحمد عبد الغفور.
٦- الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى - المفردات فى غريب القرآن - دار المعرفة - بيروت - بدون طبعة وتاريخ - تحقيق محمد سيد كيلانى.
٧- سميح عاطف الزين - مجمع البيان الحديث - تفسير مفردات الفاظ القرآن الكريم - دار الكتاب اللبنانى - بيروت - ط(٢) ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٨- عبد الرحمن بن الجوزى :-
أ) منتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم - منشأة دار المعارف - الأسكندرية - (بدون طبعة وتاريخ).
ب) نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط (٢) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٩- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى - دار الجيل - بيروت - بدون (طبعة وتاريخ).
١٠- محمد بن إسماعيل ابراهيم - معجم الألفاظ القرآنية - دار الفكر - القاهرة - بدون (طبعة وتاريخ).
١١- معمر بن الهيثمى التيمى أبو عبيدة - مجاز القرآن - مكتبة الخانجى - مصر بدون (طبعة وتاريخ).
١٢- يحيى بن سلام - التصاريف - الشركة التونسية - تونس - بدون (طبعة وتاريخ).

ثامناً : التراجم :-

١- أحمد بن على بن حجر العسقلانى - الإصابة فى تمييز الصحابة - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م. (الإصابة).
٢- أحمد بن محمد أبى بكر بن خلكان - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - دار الثقافة - بيروت - بدون (طبعة وتاريخ) - تحقيق إحسان عباس. (وفيات الأعيان)

٣- على بن محمد الجزرى - ابن الأثير - أسد الغابة فى معرفة الصحابة - دار الفكر - بيروت - ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م. (أسد الغابة)

٤- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى :-

أ) تذكرة الحفاظ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٧٤هـ بدون (رقم طبعه).

ب) سير أعلام النبلاء - مؤسسة الرسالة - بيروت ط(٣) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م تحقيق حسين الأسد.

٥- محمد بن على بن أحمد الداودى - طبقات المفسرين - مكتبة القاهرة ط(١) ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٦- محمد بن محمد الجزرى - غاية النهاية فى طبقات القراء - دار الكتب العلمية - بيروت - ط(٣) ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. (طبقات القراء)

٧- يوسف بن عبد الله بن محمد - الإستيعاب فى معرفة الأصحاب - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - ط(١) ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م. (الإستيعاب)

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
كلية الدراسات العليا والبحث العلمي
المكتبة
رقم القيد : ٤٤٨١
التاريخ

تاسعاً : كتب عامة :-

١- أبو بكر حامد الجزائرى - فصل الخطاب فى المرأة والحجاب - بدون تاريخ وطبعة ودار نشر.

٢- عبدالعزيز عبد الله بن باز - الحجاب والسفور فى الكتاب والسنة - دار ابن زيدون - بيروت - ط (١)١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣- عفيف عبد الفتاح طبارة - روح الدين الإسلامى - دار العلم للملايين - بيروت - ط(٣) ١٩٨٢م.

٤- محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد (ابن تيمية) جلاء الأفهام فى الصلاة والسلام على خير الأنام - دار الكتب العلمية - بيروت - ط(١) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٥- محمد أبو زهرة - تنظيم الإسلام للمجتمع - دار الفكر العربى - القاهرة بدون (طبعة وتاريخ).

٦- محمد سعيد مبيض - إلى غير المحجبات أولاً - دار الثقافة - الدوحة - ط(١) ١٩٨٨م.